النورس

ملهاة فى أربعة فصول

شخصيات المسرحية

إيرينا نيكولايفنا أركادينا	(تريبليفا حسب عائلة زوجها) ممثلة
قسطنطين جافريلوفتش تريبليف	ابنها، شاب
بيوتر نيكولايفتش سورين	شقيقها
نينا ميخايلوفنا زاريتشنايا	فتاة شابة،ابنة إقطاعى ثرى
إيليا أفناسيفتش شمرايف	ملازم متقاعد، خولىّ عند سورين
بولينا أندريفنا	زوجته
ماشا	ابنته
بوريس أليكسيفتش تريجورين	كاتب
يفجينى سرجيفتش دورن	طبيب
سيميون سيميونوفتش	
مدفيدينكو	مدرس
ياكوف	عامل
طاه	
خادم	

ـ الأحداث تجرى فى ضيعة سورين. يمضى على الأحداث بين الفصل الثالث والرابع عامان

الفصل الأول

(جزء من حديقة فى ضيعة سورين. ممر واسع يتجه من النظارة إلى عمق الحديقة نحو البحيرة، تحجبه خشبة مسرح شيدت على عجل لعرض منزلى بحيث لا ترى البحيرة مطلقا. على يسار ويمين خشبة المسرح خمائل. بضعة كراسى، طاولة صغيرة. الوقت بعد الغروب مباشرة. خلف الستار المسدل على خشبة المسرح يقف ياكوف وعمال آخرون. يتردد سعال ودق. ماشا ومدفيدينكو قادمان من اليسار عائدين من نزهة).

مدفيدينكو: لماذا ترتدين السواد دائما؟

ماشا: حدادا على حياتى. أنا تعيسة.

مدفيدينكو: لماذا؟ **(متفكرا)** لست أفهم..أنت صحيحة، ووالدك إن لم يكن ثريا فهو ميسور. أنا أعيش حياة أصعب من حياتك بكثير. أتقاضى ٢٣ روبلا فقط فى الشهر، ويخصمون منى لصندوق المساعدات، ومع ذلك لا ألبس الحداد.

(يجلسان)

ماشا: ليست القضية فى النقود. الفقير أيضا بوسعه أن يكون سعيدا.

مـدفيـدينكـو : هذا نظريا: أما فى الواقع فالصورة هكذا: أنا، وأمى، وشقيقتاى، وأخى الصغير، والراتب ٢٣ روبلا لا غير. والأكل والشرب ضرورى؟ والشاى والسكر؟ والتبغ ضرورى؟ دبّر أمورك إذن!

مـــــاشـــــا: **(تتلفت إلى الخشبة)** قريبا يبدأ العرض.

مـدفيـدينكـو : نعم. ستقوم زاريتشنايا بالتمثيل، أما المسرحية فمن تأليف قسطنطين جافريلوفتش. إنهما يعشقان بعضهما البعض، وستتحد روحاهما اليوم سعيا إلى تقديم نفس الصورة الفنية. أما روحى وروحك فليس لديهما نقط تماس. أنا أحبك، ولا أستطيع من الشوق أن أبقى فى البيت، أقطع كل يوم ستة كيلومترات إلى هنا وستة فى العودة، فلا ألقى منك سوى اللامبالاة. هذا مفهوم. أنا بلا موارد، وأسرتى كبيرة.. فمن ذا يرغب فى الزواج من شخص، لا يجد هو نفسه ما يأكله؟

مـــــاشـــــا: كلام فارغ. **(تستنشق التبغ)** أنا أشعر بالتأثر من حبك، ولكنى لا أستطيع أن أبادلك الحب، وهذا كل ما هنالك. **(تمد له علبة التبغ)** تفضل.

مـدفيـدينكـو : لا أريد.

(صمت)

مـــــاشـــــا: الجو خانق. يبدو أن العاصفة ستهب ليلا. أنت دائما تتفلسف أو تتحدث عن النقود. وفى رأيك لا توجد

مصيبة أكبر من الفقر، ولكنى أرى أنه من الأسهل ألف مرة أن تسير فى الأسمال وتشحذ من أن.. وعموما فلن تفهم هذا..

(من اليمين يدخل سورين وتريبليف)

سورين: **(معتمدا على عصا)** أنا يا أخى لا أشعر بالارتياح فى الريف، ومفهوم طبعا أننى لن أتعود هنا أبدا. بالأمس رقدت فى العاشرة، واستيقظت صبح اليوم فى التاسعة بإحساس وكأن مخى، بسبب النوم الطويل، قد التصق بجمجمتى وخلافه. **(يضحك)** وبعد الغداء نمت ثانية دون قصد، والآن أحس بأنى كلى محطم، وأشعر بكابوس، وفى نهاية الأمر..

تريبليف: صحيح، ينبغى لك أن تعيش فى المدينة **(يرى ماشا ومدفيدينكو)** ياسادة، عندما بدأ العرض سيدعونكما، أما الآن فممنوع الجلوس هنا. انصرفا من فضلكما.

سورين: **(لماشا)**: ماريا إيلينتشنا، اصنعى معروفا واطلبى من والدك أن يأمر بإطلاق سراح الكلب لأنه يعوى. أختى لم تنم مرة أخرى طوال الليل.

ماشا: تحدث مع أبى بنفسك، أنا لن أفعل. اعفنى أرجوك. **(لمدفيدينكو)** هيا بنا!

مدفيدينكو: **(لتريبليف)** أرسل من يدعونا قبيل البداية.

(ينصرفان)

ســـوريـــن: وإذن سيعوى الكلب طول الليل مرة أخرى. يا لها من حكاية. لم أعش فى الريف أبدا مثلما كنت أرجو. أحيانا كنت آخذ إجازة ٢٨ يومًا وآتى إلى هنا لأرتاح وخلافه، ولكنهم يرهقونك بشتى التفاهات حتى تشعر بالرغبة من الهرب من أول يوم. (**يضحك**) دائما كنت أرحل عن هنا بسرور.. أما الآن فأنا متقاعد، لا مهرب أمامى، فى نهاية الأمر. عليك أن تعيش شئت أم أبيت..

يـــاكـــوف: (**للتريبليف**) سنذهب للاستحمام يا قسطنطين جافريليتش.

تـريـبـلـيـف: حسنا، لكن بعد عشر دقائق تكونون فى أماكنكم. (**ينظر إلى الساعة**) سنبدأ قريبا.

يـــاكـــوف: حاضر (**ينصرف**).

تـريـبـلـيـف (**يشمل خشبة المسرح بنظرة**) ها هو ذا المسرح. الستار، الكواليس الأولى، ثم الثانية، وبعدها مساحة خاوية. ليس هناك أية ديكورات. المنظر يتكشف مباشرة على البحيرة والأفق. سنرفع الستار فى الثامنة والنصف تماما، عندما يطلع القمر.

ســـوريـــن: رائع.

تـريـبـلـيـف: إذا تأخرت زاريتشنايا فسيضيع طبعا كل تأثير. حان وقت مجيئها. أبوها وزوجته يحرسانها، حتى إن الإفلات من البيت فى صعوبة الإفلات من السجن

(يصلح رابطة عنق خاله). لحيتك وشعرك مشعثان. أعتقد عليك أن تحلق..

سورين: **(يمشط لحيته)** مأساة عمرى. حتى فى شبابى كانت سحنتى تبدو وكأننى أغرقت فى الشراب وخلافه. النساء لم يحببننى أبدا. **(يجلس)** لماذا تبدو أختى معتلة المزاج؟

تريبليف: لماذا؟ تضجر. **(يجلس بجواره)** تغير. إنها تقف الآن ضدى، وضد العرض، وضد مسرحيتى لأن زاريتشنايا قد تروق لصاحبها الكاتب. إنها لا تعرف مسرحيتى ولكنها أصبحت تمقتها.

سورين: **(يضحك)** كم تختلق..

تريبليف: إنها تشعر بالأسى لأنه على هذه الخشبة الصغيرة ستحظى بالنجاح زاريتشنايا لا هى. **(ينظر إلى الساعة)** يالها من مفارقة سيكولوجية أمى هذه. إنها بلا شك موهوبة، ذكية، قادرة على البكاء إذ تقرأ كتابا، وتسمعك نيكراسوف[1] كله عن ظهر قلب، وترعى المرضى كملاك. ولكن فلتحاول أن تمدح أمامها دوزيه[2]! أو ـ هو ـ ه! ينبغى أن تمدحها هى فقط، ينبغى أن تكتب

---

(١) نيكولاى نيكراسوف (١٨٢١ ـ ١٨٨٧) شاعر روسى من الديمقراطيين الثوريين. **المعرب.**

(٢) أليانورا دوزيه (١٨٥٨ ـ ١٩٢٤) ممثلة إيطالية شهيرة، أحيث حفلات فى روسيا فى تسعينيات القرن التاسع عشر. **المعرب.**

عنها وحدها، وأن تصرخ وتعجب بأدائها الخارق فى "La dame aux camélias" أو «دخان الحياة»[1]، ولكن بما أن هذا المخدر ليس موجودا هنا، فى القرية، فهى تضجر وتغضب، وكلنا أعداؤها، كلنا مذنبون. وفوق ذلك فهى متطيرة، تخاف الشموع الثلاث، ورقم ثلاثة عشرة. إنها بخيلة. لديها فى البنك فى أوديسا سبعون ألف روبل. أعرف ذلك عن يقين. ولو سألتها سلفة لبكت.

سورين: لقد تصورت أن مسرحيتك لا تعجب أمك وها أنت ذا تضطرب وخلافه. اطمئن، أمك تعبدك..

تريبليف: **(يقطع أوراق زهرة)** تحبنى، لا تحبنى، تحبنى، لا تحبنى. تحبنى، لا تحبنى. **(يضحك)** انظر، أمى لا تحبنى، وكيف لا! إنها تريد أن تعيش، وتحب، وترتدى البلوزات الزاهية، ولكن أنا فى الخامسة والعشرين، وأذكرها دائما بأنها لم تعد صبية. عندما لا أكون موجودًا فهى فى الثانية والثلاثين فقط، أما فى حضورى فهى فى الثالثة والأربعين. ولهذا فهى تمقتنى. وهى تعلم أيضا أننى لا أعترف بالمسرح. إنها تحب المسرح. ويخيل إليها أنها تخدم البشرية والفن المقدس، أما أنا فأعتبر المسرح المعاصر

---

(١) «غادة الكاميليا» ـ مسرحية ألكسندر دوماس الابن المأخوذة عن رواية بنفس العنوان، و«دخان الحياة» مسرحية للكاتب الروسى ماركيفتش (١٨٢٢ ـ ١٨٨٤)، وكان كاتبا رجعيا هاجم فى رواياته الآراء التحررية والديمقراطية. **المعرب**.

روتينا، خزعبلات. عندما يرتفع الستار، وفى ضوء المغيب، فى غرفة بثلاثة جدران، يقوم هؤلاء الموهوبون العظام، كهنة الفن المقدس، بتصوير كيف يأكل الناس ويشربون ويحبون ويسيرون ويرتدون ستراتهم.. عندما يحاولون أن يستخرجوا من العبارات والصور المبتذلة عبرة، عندما يقدمون لى بألف تنويع نفس الشىء، نفس الشىء، نفس الشىء.. عندئذ اركض واركض هربا، كما هرب موباسان من برج إيفل الذى كان يضغط بابتذاله على عقله.

ســــوريــــن: بدون المسرح لا يمكن.

تـريـبـلـيـف: مطلوب أشكال جديدة. أشكال جديدة مطلوبة، فإذا لم تكن موجودة فالأفضل لا شىء. **(ينظر إلى الساعة)** أنا أحب أمى، أحبها جدا. ولكنها تعيش حياة مشوشة، وتعاشر هذا الكاتب بشكل سافر، والصحف تلوك سيرتها دائما.. وهذا يرهقنى. وأحيانا تفصح عن نفسها. فىّ مجرد أنانية الإنسان العادى. أشعر بالأسف لأن أمى ممثلة مشهورة، ويخيل إلىّ أنها لو كانت امرأة عادية، لكنت أسعد. قل لى يا خالى، هل هناك وضع أسوأ وأحمق من التالى: إذ يحدث أن يجتمع فى ضيافتها المشاهير فقط، الفنانون والأدباء، وأنا وحدى التافه بينهم، ويتحملوننى فقط لأنى ابنها. فمن أنا؟ وماذا أنا؟ تركت الجامعة فى الصف الثالث لأسباب خارجة

عن إرادة هيئة التحرير كما يقال، بدون أية مواهب، ولا خردة، أما حسب الهوية فبرجوازى صغير من كييف. فأبى أيضا برجوازى صغير من كييف، رغم أنه كان ممثلا مشهورا. وهكذا فعندما كان كل هؤلاء الفنانين والكتاب فى صالونها يوجهون إلىّ انتباههم الرحيم، كان يخيل إلىّ أنهم يقيسون بنظراتهم تفاهتى.. كنت أخمن أفكارهم فأعانى من المهانة..

سـورين: بالمناسبة، قل لى من فضلك. أىّ إنسان كاتبها هذا؟ أنا لا أفهمه. صامت دائما.

تريبليف: إنه شخص ذكى، بسيط، سوداوى إلى حد ما. رجل قويم جدا. لن يبلغ الأربعين قريبا ولكنه مشهور بالفعل وشبعان.. شبعان حتى الحلق..وهو الآن لا يشرب إلا البيرة ويستطيع أن يحب الكهلات فقط. أما بخصوص كتاباته فـ..ماذا أقول لك؟ لطيفة، موهوبة.. ولكن..بعد تولستوى وزولا لا تشعر بالرغبة فى قراءة تريجورين.

سـورين: أما أنا يا أخى فأحب الأدباء. فى وقت ما كنت أرغب بشغف فى شيئين: أن أتزوج، وأن أصبح أديبا، ولكنى لم أوفق لا إلى هذا ولا إلى ذاك. نعم. لطيف أن تكون ولو أديبا صغيرا فى نهاية الأمر.

تريبليف: **(يصغى)** أسمع خطوات.. **(يعانق خاله)** أنا لا أستطيع أن أعيش بدونها..حتى وقع خطواتها رائع..أنا سعيد

بجنون. **(يسرع لملاقاة نينا زاريتشنايا وهى تدخل)** ياساحرتى، يا حلمى..

نـيـنـا: **(باضطراب)** لم أتأخر..طبعا، لم أتأخر..

تـريـبـلـيـف: **(يقبل يديها)** كلا، كلا، كلا..

نـيـنـا: كنت قلقة طوال النهار، كم شعرت بالفزع! كنت أخشى ألا يتركنى أبى أذهب.. لكنه رحل الآن مع زوجته. السماء حمراء، وقد بدأ القمر يطلع فألهبت الحصان، **(تضحك)** ولكنى سعيدة **(تشد بقوة على يد سورين)**.

سـوريـن: **(يضحك)** عيناك تبدوان باكيتين..هئ ـ هئ.. لايصح!

نـيـنـا: لا، لا شيء..أترى كيف أتنفس بصعوبة بعد نصف ساعة سأرحل، ينبغى الإسراع. لا يمكن، لا يمكن، أرجوك لا تؤخرنى. أبى لا يعلم أننى هنا.

تـريـبـلـيـف: حقًا، حان أن نبدأ. ينبغى الذهاب لدعوة الجميع.

سـوريـن: أنا سأذهب وخلافه. حالا. **(يمضى يمينا وهو يغنى)** «وصل إلى فرنسا جنديان فارسان..» **(يتلفت)** ذات مرة غنيت هكذا. فقال لى أحد وكلاء النيابة: «صوتكم يا صاحب المعالى قوى»..ثم فكر قليلا وأضاف: «ولكنه..كريه» **(يضحك وينصرف)**.

نـيـنـا: أبى وزوجته لا يسمحان لى بالمجىء. يقولان إن المكان هنا بوهيمى..يخشيان أن أصبح ممثلة..ولكنى

أنجذب إلى هنا، إلى البحيرة، كالنورس.. قلبى ملىء بك **(تتلفت)**.

تريبليف: نحن وحدنا.

نينا: يبدو أن أحدا هناك..

تريبليف: لا أحد.

(قبلة)

نينا: أية شجرة هذه؟

تريبليف: دردار.

نينا: ولماذا هى مظلمة هكذا؟

تريبليف: المساء حل ولذلك تظلم كل الأشياء. لا ترحلى مبكرا، أتوسل إليك.

نينا: لا يمكن.

تريبليف: وماذا لو ذهبت إليك يا نينا؟ سأقف طوال الليل فى البستان وأتطلع إلى نافذتك.

نينا: لا يمكن، سيراك الحارس. تريزور لم يألفك بعد وسوف ينبح.

تريبليف: أنا أحبك.

نينا: هس..

تريبليف: **(وقد سمع خطوات)** من هناك؟ ياكوف

ياكوف: **(من وراء الخشبة)** نعم، بالضبط.

تريبليف: اشغلوا أماكنكم. حان الوقت. القمر يصعد؟

ياكوف: نعم، بالضبط

تـريـبـلـيـف: الكحول موجود؟ والكبريت موجود؟ عندما تظهــر العينــان الحمراوان ينبغـى أن تفوح رائحة الكبريت **(لنينا)** هيـا، كـل شـىء جاهز هناك. أنت مضطربة؟..

نـــيـــنـــا: نعم. جدا. والدتك لا بأس بها، لا أخشاها، ولكن عندكم تريجورين.. أشعر بالرعب والخجل من اللعب فى حضوره..كاتب مشهور..هل هو شاب؟

تـريـبـلـيـف: نعم.

نـــيـــنـــا: ما أروع قصصه!

تـريـبـلـيـف: **(ببرود)** لا أعرف، لم أقرأها.

نـــيـــنـــا: من الصعب التمثيل فى مسرحيتك. ليس فيها شخصيات حية.

تـريـبـلـيـف: شخصيات حية! ينبغى تصوير الحياة لا كما هى عليه، ولا كما يجب أن تكون، بل كما تتبدى فى الأحلام.

نـــيـــنـــا: الحركة قليلة فى مسرحيتك، مجردة قراءة فى رأيى أن المسرحية لا بد أن يكون فيها حب أيضا..

(يمضيان إلى خلف الخشبة، تدخل بولينا أندرييفنا ودورن)

بولينا أندرييفنا: أصبح الجو رطبا. عد والبس خفا.

دورن: أنا حرّان.

بولينا أندرييفنا: أنت لا تحافظ على صحتك. هذا عناد. أنت دكتور وتعرف جيدا أن الهواء الرطب ضار لك، ولكنك تريد

أن أعانى. لقد جلست بالأمس المساء كله فى الشرفة عن عمد..

دورن: (يدندن) «لا تقولى ضيَّع العمرَ الشباب».

بولينا أندرييفنا: كنتَ منهمكا بشدة فى الحديث مع إيرينا نيكولايفنا.. ولم تلاحظ البرد. اعترف!، إنها تعجبك..

دورن: أنا عندى ٥٥ سنة.

بولينا أندرييفنا: بسيطة. بالنسبة للرجل فهى ليست شيخوخة. أنت حافظت على نفسك جيدا وما زلت تعجب النساء.

دورن: وإذن فماذا تريدين؟

بولينا أندرييفنا: كلكم مستعدون للانبطاح أمام الممثلة. كلكم!

دورن: (يدندن) «أنا من جديد أمامك..». إذا كان الناس يحبون الفنانين وينظرون إليهم بشكل مختلف عن نظرتهم إلى التجار مثلا، فهذا من طبيعة الأشياء. هذه مثالية.

بولينا أندرييفنا: النساء كن يقعن فى حبك دائما ويتعلقن برقبتك. هل هذه أيضا مثالية؟

دورن: **(يهز كتفيه)** حسنا، فى علاقة النساء بى كان الكثير من الأشياء الطيبة. كن يحببن فىّ، بالدرجة الأولى، طبيبا ممتازا. فمنذ ١٠ـ ١٥ سنة، وكما تذكرين، كنت طبيب الولادة المحترم الوحيد فى المحافظة كلها. ثم إننى كنت دائما رجلا شريفًا.

بولينا أندرييفنا: **(تقبض على ذراعه)** يا عزيزى!

دورن: مهلا. إنهم قادمون.

(تدخل أركادينا متأبطة ذراع سورين ومعهما تريجورين وشمرايف ومدفيدينكو وماشا)

شمرايف: فى سنة ١٨٧٣ فى بولتافا لعبت فى السوق بإعجاز، كانت ساحرة! لعبت بروعة! ألا تتكرمين أيضا بمعرفة أين يوجد الآن الممثل الكوميدى تشادين بافل سيميونتش؟ كان فى دور راسبلويف لا مثيل له، أفضل من سادوفسكى أقسم لك يا سيدتى الموقرة. أين هو الآن؟

أركادينا: مازلت تسألنى عن أشخاص غابرين. من أين لى أن أعرف؟ **(تجلس)**

شمرايف: **(وقد تنهد)** باشكا تشادين! أمثاله لا وجود لهم الآن. لقد سقط المسرح يا إيرينا نيكولايفنا! فى الماضى كانت أشجار بلوط جبارة، أما الآن فلا نرى إلا بقايا الجذوع.

دورن: المواهب الساطعة قليلة الآن، هذا صحيح، لكن الممثل المتوسط أصبح أرقى بكثير.

شمرايف: لا يمكننى أن أوافقك. وعموما فهى قضية ذوق. De gustibus aut bene, aut nihil [١]

(يخرج تريبليف من خلف الخشبة)

---

(١) الأذواق إما تذكر بالخير وإما لا تذكر اطلاقا (باللاتينية فى النص الأصلى).

أركـــاديـــنـــا: **(لابنها)** يا ولدى العزيز، متى تبدأون إذن؟

تـريـبـلـيـف: بعد دقيقة. أرجو الصبر.

أركـــاديـــنـــا: **(تقرأ من «هملت»)** «يابنى، لقد حوّلت بصرى إلى داخل نفسى، فرأيتها فى قروح دامية مميتة.. فلا خلاص!»

تـريـبـلـيـف: **(من «هملت»)** «فلمَ انسقت إلى الرذيلة، وعن الحب بحثتِ فى أغوار الآثام؟»

(يدوى نفير خلف الخشبة)

يا سادة، البداية! أرجو الانتباه!

(صمت)

سأبدأ. **(يدق بعصا. ويقول بصوت عال)** أنت، أيتها الظلال القديمة الموقرة، التى تهوم تحت جنح الليل فوق هذه البحيرة، نوِّمينا، ولنر فى الحلم ما الذى سيكون بعد مائتى ألف عام!

ســـوريـــن: بعد مائتى ألف عام لن يكون شىء.

تـريـبـلـيـف: حسنا، فليصوروا لنا إذن هذا اللاشىء.

أركـــاديـــنـــا: ليكن. نحن نائمون.

(يرتفع الستار. يظهر منظر البحيرة، القمر فوق الأفق وانعكاسه فى المياه. على صخرة كبيرة تجلس نينا زاريتشنايا متشحة بالبياض).

نـــيـــنـــا: الناس، والأسود، والنسور والسمانات، والغزلان ذات القرون، والأوز، والعناكب، والأسماك الخرساء، التى

عاشت فى المياه، ونجوم البحر، وتلك المخلوقات التى لم يكن ممكنا رؤيتها بالعين.. باختصار كل الأحياء، كل الأحياء انطفأت بعد أن أنجزت دورتها الحزينة.. مرت آلاف القرون والأرض لا تحمل على سطحها أثرا لحى، وعبثا يضيىء هذا القمر المسكين مصباحه. فى المروج لم تعد اللقالق تستيقظ زاعقة، وفى غيضات الزيزفون لم يعد يسمع أزيز خنافس الربيع. برد، برد، برد، خواء، خواء، خواء، رعب، رعب، رعب.

(صمت)

تبددت أجساد الأحياء ترابا، وحولتها المادة الخالدة إلى صخور، ومياه، وسحب، واتحدت أرواحها كلها فى روح واحدة. روح عالمية عامة هى أنا.. أنا.. فىّ روح الإسكندر الأكبر، وقيصر، وشكسبير، ونابليون، وآخر علقة. أتحد فىّ وعى الناس بغرائز الحيوانات، وأنا أذكر كل شىء، كل شىء، كل شىء، وكل حياة أعايشها فى نفسى من جديد.

(تلوح أضواء المستنقع)

أركـــاديـــنـــا: **(بصوت خافت)** هذا من عصر الانحطاط.

تـريـبـلـيـف: **(بضراعة ولوم)** ماما!

نـــيـــنـــا: أنا وحيدة. مرة كل مائة عام أحرك شفتى لكى أتحدث، فيرن صوتى فى هذا الخواء كئيبا، ولا يسمعنى أحد..

وأنت أيتها الأضواء الشاحبة لا تسمعينني... قرب الصباح يلدك المستنقع العفن فتهومين حتى الفجر، لكن بلا أفكار، بلا إرادة، بلا رعشة الحياة. وخشية أن تبعث فيك الحياة، يجرى فيك الشيطان، أبو المادة الخالدة، كل لحظة، كما فى الصخور والمياه، تبادل الذرات، فتتغيرين بلا توقف. لا يبقى ثابتا لا يتغير فى الكون سوى الروح.

(صمت)

وكالأسير الملقى فى بئر خاوية عميقة لا أدرى أين أنا ولا ماذا ينتظرنى. لا يبين لى إلا شىء واحد، وهو أنه فى الصراع الضارى القاسى مع الشيطان، مع أصل القوى المادية، قد كتب لى النصر، وبعد ذلك ستتحد المادة والروح فى هارمونى رائع ويحل ملكوت الإرادة العالمية. ولكن ذلك لــن يتحقق إلا بعد أن يكون القمر، والشعرى المضيئة، والأرض، شيئا فشيئا، خلال صف طويل طويل من آلاف السنين، قد تحولت إلى غبار.. وإلى أن يحين ذلك فلا شىء إلا الرعب، الرعب..

(صمت. على خلفية البحيرة تظهر نقطتان حمراوان).

ها هو غريمى الجبار، الشيطان، يقترب. إننى أرى عينيه الرهيبتين الدمويتين..

أركــاديــنــا: رائحة كبريت. هذا مطلوب؟

تــريــبــلــيــف: نعم.

أركـــاديـــنـــا: **(تضحك)** نعم، هذا مؤثر.

تـريـبـلـيـف: ماما!

نـــيـــنـــا: إنه يضجر بدون الإنسان..

بولينا أندرييفنا: **(للدورن)** لقد نزعت قبعتك. البسها وإلا بردت.

أركـــاديـــنـــا: لقد نزع الدكتور قبعته أمام الشيطان، أبى المادة الخالدة.

تـريـبـلـيـف: **(منفجرا، بصوت عال)** انتهت المسرحية! كفى! ستار!

أركـــاديـــنـــا: لماذا تغضب؟

تـريـبـلـيـف: كفى! ستار! أنزل الستار! **(يدق بقدمه)** ستار!

(يهبط الستار)

آسف! لقد نسيت أن كتابة المسرحيات واللعب على المسرح لا يستطيعه إلا قليل من المختارين. لقد تطاولت على الاحتكار! إننى.. أنا... **(يود أن يقول شيئا آخر ولكنه يشيح بيده وينصرف يسارا)**

أركـــاديـــنـــا: ماذا به؟

ســـوريـــن: إيرينا، لا يصح يا عزيزتى معاملة غرور الشباب بهذه الطريقة.

أركـــاديـــنـــا: وماذا قلت له؟

ســـوريـــن: أنت أهنته.

أركـــاديـــنـــا: هو نفسه الذى نبهنا إلى أنها مزحة، فنظرت إلى مسرحيته على أنها مزحة.

سـوريـن: ومع ذلك..

أركـاديـنـا: والآن يتضح أنه كتب عملا عظيما! هكذا! وإذن فقد أقام هذا العرض وأطلق رائحة الكبريت لا من أجل المزاح بل للاستعراض.. أراد أن يعلمنا كيف ينبغى أن نكتب وما الذى علينا أن نلعبه. ولكن هذا فى النهاية يثير الملل. هذه التطاولات الدائمة علىّ والوخزات، اسمح لى، إنها تضجر أى إنسان! صبى نزق، مغرور.

سـوريـن: لقد أراد أن يرضيك.

أركـاديـنـا: حقا؟ ولكنه لم يختر أية مسرحية عادية، بل أجبرنا على سماع هذا الهذيان الرمزى. من أجل المزاح أنا مستعدة لأن أسمع حتى الهذيان، ولكن هنا ادعاءات بفتح عصر جديد فى الفن. بيد أنى لا أرى أية أشكال جديدة هنا، بل مجرد طبع سيئ.

تـريجـوريـن: كل إنسان يكتب كما يريد وكما يستطيع.

أركـاديـنـا: فليكتب كما يريد وكما يستطيع، ولكن فليدعنى وشأنى.

دورن: جوبيتر، أنت تغضب..[1]

أركـاديـنـا: أنا لست جوبيتر، بل امرأة (تشعل سيجارة) أنا لا أغضب، فقط أشعر بالأسى لهذا الشاب الذى يقضى وقته بهذا الملل. أنا لم أقصد إهانته.

---

(١) بداية عبارة شائعة: «جوبيتر أنت تغضب إذن لست على حق». المعرب.

مـدفيـدينكـو: لا أحد يملك أساسا لفصل الروح عن المادة، ذلك لأن الروح ربما هى فى حد ذاتها محصلة الذرات المادية. **(لتريجورين بحيوية)** أتدرى، لو أن أحدا وصف فى مسرحية ثم لعب على الخشبة كيف يعيش صاحبنا المدرس. صعبة حياته، ما أصعبها!

أركـــاديـــنـــا: هذا حق، ولكن دعـونا من الحديث لا عن المسرحيات ولا عن الذرات.ما أروعه مـن مساء! أتسمعون يا سادة، غناء؟ **(تصيخ السمع)** ما أحلاه!

بولينا أندريفنا: هذا فى الشاطئ الآخر.

(صمت)

أركـــاديـــنـــا: **(لتريجورين)** اجلس بجوارى. منذ ١٠ـ١٥ سنة كانت الموسيقى والغناء يسمعان هنا، على البحيرة، كل ليلة تقريبا، بلا انقطاع. هنا على الشاطئ ست دور إقطاعية، أذكر الضحك. والصخب، وإطلاق النار، ومغامرات الحب اللانهائية..كان Jeune premier ومعبود هذه الدور الست كلها آنذاك هذا، أقدمه لكم **(تومئ إلى دورن)** الدكتور يفجينى سرجييفتش. حتى الآن مازال جذابا، ولكنه كان آنذاك صاعقا. لكن ضميرى بدأ يعذبنى. لماذا أهنت ولدى المسكين؟ أنا قلقة. **(بصوت عال)** يا كوستيا! يا بنى! كوستيا!

مـــــاشـــــا: سأذهب لأبحث عنه.

أركـــاديـــنـــا: لو سمحت يا عزيزتى.

ماشا: **(تنصرف يسارا)** آو! يا قسطنطين جافريلوفتش!.. آو.. **(تنصرف)**.

نينا: **(تخرج من وراء الخشبة)** يبدو أن المسرحية لن تستكمل، وبوسعى أن أخرج. مرحبا! **(تتبادل القبلات مع أركادينا وبولينا أندرييفنا)**.

سورين: برافو، برافو!

أركادينا: برافو، برافو! كنا نتملاك! بهذه الملامح، وبهذا الصوت الساحر حرام أن تبقى فى القرية. لديك موهبة أكيد. أتسمعين؟ من واجبك أن تلتحقى بالمسرح!

نينا: أوه، هذا حلمى! **(تتنهد)** ولكنه لن يتحقق أبدا.

أركادينا: من يدرى؟ اسمحى لى أن أقدم لك: تريجورين، بوريس أليكسييفتش.

نينا: آه، كم أنا مسرورة.. **(بارتباك)** أنا أقرأ لكم دائما..

أركادينا: **(تجلسها قربها)** لا تخجلى يا عزيزتى. إنه مشهور ولكن روحه بسيطة. انظرى ها هو نفسه قد ارتبك.

دورن: أظن أنه من الممكن الآن رفع الستار، وإلا فالجو مخيف.

شمرايف: **(بصوت عال)** ياكوف، ارفع الستار يا أخى!

(يرتفع الستار)

نينا: **(لتريجورين)** أليست مسرحية غريبة حقا؟

تريجورين: أنا لم أفهم شيئا. وعموما فقد تفرجت باستمتاع. أنت تلعبين بإخلاص. والديكور كان رائعا.

(صمت)

لا بد أن هناك سمكا كثيرا فى هذه البحيرة.

نـــيـــنـــا: نعم.

تـــريجـــوريـــن: أنا أحب صيد السمك. ليس هناك بالنسبة لى متعة أكبر من الجلوس قبيل الغروب على الشاطئ والنظر إلى العوامة.

نـــيـــنـــا: ولكنى أظن أن من ذاق متعة الإبداع لن يلاحظ وجود أية متع أخرى.

أركـــاديـــنـــا: **(ضاحكة)** لا تتحدثى هكذا. عندما تقال له كلمات طيبة فإنه يفشل.

شـــمـــرايـــف: أذكر فى مسرح الأوبرا بموسكو ذات مرة غنى سيلفا المشهور نغمة «دو» منخفضة. وفى ذلك المساء، وكأنها عن عمد، كان يجلس فى أعلى المسرح أحد منشدى المجمع الكنسى من طبقة «الباص» وفجأة، وتصوروا مدى ذهولنا البالغ، سمعنا من أعلى المسرح: برافو يا سيلفا!» أخفض بأوكتاف كامل..هكذا **(بباص منخفض)**: برافو يا سيلفا.. المسرح كل ذهل.

(صمت)

دورن: حلّق ملاك وئام.

نـــيـــنـــا: آن أن أذهب. وداعا.

أركـــاديـــنـــا: إلى أين؟ إلى أين مبكرا هكذا؟ لن نتركك.

نـــيـــنـــا: بابا فى انتظارى.

أركـــاديـــنـــا: يا له من.. حقا.. **(تتبادلان القبل)** حسنا، ما العمل. من المؤسف أن نتركك، يا للأسف.

نـــيـــنـــا: آه لو تعلمين كم يشق عليّ أن أرحل!

أركـــاديـــنـــا: فليوصلك أحد ما يا صغيرتي.

نـــيـــنـــا: **(بذعر)** أوه، كلا، كلا!

ســـوريـــن: **(لها، بضراعة)** ابقي!

نـــيـــنـــا: لا أستطيع يا بيوتر نيكولايفتش.

ســـوريـــن: ابقي لساعة واحدة وكفى. حقا ما هذا..

نـــيـــنـــا: **(بعد تفكير، من خلال الدموع)** لا يمكن! **(تشد على يده وتنصرف بسرعة)**.

أركـــاديـــنـــا: فتاة تعيسة في الحقيقة. يقال إن المرحومة أمها أوصت لزوجها بكل ثروتها الضخمة، حتى آخر كوبيك، وأصبحت هذه الفتاة الآن بلا مال، لأن أباها أوصى بكل شيء لزوجته الثانية. شيء محنق!

دورن: نعم، أبوها حيوان حقيقي، يجب أن نشهد له بذلك.

ســـوريـــن: **(يفرك راحتيه الباردتين)** هيا بنا ننصرف نحن أيضا يا سادة، فالجو أصبح رطبا. ساقاي تؤلماني.

أركـــاديـــنـــا: كأنهما من خشب، لا تكادان تتحركان. حسنا، هيا بنا أيها العجوز المنحوس **(تتأبط ذراعه)**.

شـــمـــرايـــف: **(يمد ذراعه لزوجته)** مدام؟

ســـوريـــن: أسمع عواء الكلب ثانية **(لشمرايف)** اصنع معروفا يا إيليا أفناسيفتش، مُرْ بإطلاق سراحه.

شـــمـــرايــف: لا يمكن يا بيوتر نيكولايفتش، أخشى أن يسطو اللصوص على مخزن الحبوب. لدىّ هناك ذرة عويجة **(لمدفيدينكو السائر بجواره)** نعم، أخفض بأوكتاف كامل: «برافو يا سيلفا!» رغم أنه ليس مغنيا، بل منشد عادى فى المجمع.

مـدفيـدينكـو: وكم يبلغ راتب منشد المجمع؟

(يخرج الجميع ما عدا دورن)

دورن: **(وحده)** لا أدرى، ربما أنا لا أفقه شيئا، أو أننى جننت، ولكن المسرحية أعجبتنى. فيها ثمة شىء ما. عندما تحدثت هذه الفتاة عن الوحدة، ثم عندما ظهرت عينا الشيطان الحمراوان، ارتعشت يداى من الانفعال. إنها طازجة، ساذجة.. ها هو قادم فيما يبدو. أود أن أقول له الكثير من الكلمات السارة.

تـريـبـلـيـف: **(يدخل)** لم يعد هناك أحد.

دورن: أنا هنا.

تـريـبـلـيـف: ماشنكا تبحث عنى فى الحديقة كلها. يا لها من مخلوق مضجر.

دورن: قسطنطين جافريلوفتش، لقد أعجبتنى مسرحيتك للغاية. *إنها غريبة نوعا ما، ولم أسمع نهايتها، ومع ذلك* تترك انطباعا قويا. أنت شخص موهوب، عليك أن تواصل.

(يشد تريبليف على يده بقوة ويعانقه باندفاع).

أف، يا له من عصبى. دمعت عيناه... أتدرى ماذا أريد أن أقول؟ أنت طرقت موضوعا فى مجال الأفكار المجردة. وهذا هو المفروض، لأن العمل الأدبى ينبغى حتما أن يعبر عن فكرة كبيرة. الجاد وحده هو الرائع. كم أنت شاحب!

تـريـبـلـيـف: إذن تقول أن أواصل؟

دورن: نعم.. ولكن اكتب فقط عن الهام والخالد. أتدرى، لقد عشتُ حياة متنوعة شيقة، وأنا راض عنها، ولكن لو أنى شعرت السمو الروحى الذى يتملك الفنانين أثناء الإبداع لاحتقرت فيما يبدو قشرتى المادية وكل ما هو مميز لهذه القشرة، ولانطلقت بعيدا عن الأرض محلقا إلى العلا.

تـريـبـلـيـف: عفوا، أين زاريتشنايا؟

دورن: وثمة شىء آخر. ينبغى أن تكون للعمل فكرة واضحة محددة. عليك أن تعرف لأى غرض تكتب، وإلا فلو سرت فى هذا الدرب الجميل دون هدف محدد، فسوف تضل الطريق وتقضى عليك موهبتك.

تـريـبـلـيـف: **(بنفاذ صبر)** أين زاريتشنايا؟

دورن: رحلت إلى البيت.

تـريـبـلـيـف: **(فى يأس)** وماذا أفعل؟ أريد أن أراهـا... لا بد أن أراها.. سأرحل.

(تدخل ماشا)

دورن: **(لتريبليف)** اهدأ يا صديقى.

تريبليف: ومع ذلك سأرحل. علىّ أن أرحل.

ماشا: ادخل إلى البيت يا قسطنطين جافريلوفتش. والدتك تنتظرك. إنها منفعلة.

تريبليف: قولى لها إنى رحلت. وأرجوكم جميعا، دعونى وشأنى! دعونى وشأنى! دعونى! لا تسيروا ورائى!

دورن: طيب، طيب، طيب يا عزيزى.. لا يصح هذا.. عيب.

تريبليف: **(من خلال الدموع)** وداعا يا دكتور، أشكرك.. **(ينصرف)**.

دورن: **(متنهدا)** الشباب! الشباب!

ماشا: عندما لا يجدون ما يقولونه يقولون: الشباب، الشباب.. **(تستنشق التبغ)**.

دورن: **(يأخذ منها علبة التبغ ويلقى بها فى الخمائل)** هذا مقرف!

(صمت)

يبدو أنهم يلعبون فى المنزل. ينبغى أن نذهب.

ماشا: انتظر.

دورن: ماذا؟

ماشا: أريد أن أقول لك مرة أخرى. أريد أن أتحدث.. **(بانفعال)** أنا لا أحب أبى..ولكن قلبى يميل إليك.

لست أدرى لماذا أحس من كل قلبى أنك قريب إلىّ.. فلتساعدنى إذن. ساعدنى وإلا ارتكبت حماقة، وإلا سخرت من حياتى وأفسدتها.. لا أستطيع أن أطيق أكثر..

دورن: ماذا؟ بم أساعدك؟

مـــاشـــا: إننى أعانى: لا أحد، لا أحد يدرى بمعاناتى! **(تضع رأسها على صدره، تقول بصوت خافت)** أنا أحب قسطنطين.

دورن: يا لكم جميعا من عصبيين! يالكم جميعًا من عصبيين! وكم من حب.. أوه، أيتها البحيرة المسحورة! **(برقة)** ماذا أستطيع أن أفعل يا صغيرتى؟ ماذا؟ ماذا؟

(ســتار)

الفصل الثانى

(ميدان للكروكيت. فى العمق إلى اليمين منزل بشرفة كبيرة وإلى اليسار ترى بحيرة تلمع الشمس المنعكسة فيها. أحواض زهور. الوقت ظهرٌ. الجو حار. إلى جانب الميدان، تحت ظلال زيزفونة عجوز تجلس أركادينا ودورن وماشا على أريكة. على ركبتى دورن كتاب مفتوح).

أركـــاديـــنـــا: **(لماشا)** حسنا، فلننهض.

(تنهضان معا)

قفى بجوارى. أنت فى الثانية والعشرين، وأنا فى ضعف عمرك تقريبا. يفجينى سرجييفتش، من منا تبدو أصبى؟

دورن: أنت طبعا.

أركـــاديـــنـــا: أرأيت.. فلماذا؟ لأننى أعمل، أشعر، أنا دائما أتحرك، أما أنت فتجلسين دائما فى مكان واحد، ولا تعيشين.. كما أنى أسير على قاعدة: ألا أنظر إلى المستقبل. أنا لا أفكر أبدا لا فى الشيخوخة ولا فى الموت. المكتوب على الجبين لا بد أن تراه العين.

ماشا: أما أنا فأشعر وكأنى ولدت منذ زمن بعيد. أجرجر حياتى كذيل فستان بلا نهاية.. وكثيرا ما أشعر بعدم الرغبة فى الحياة. **(تجلس)** بالطبع كل هذا هراء. ينبغى أن أنتفض، أن ألقى عنى كل هذا.

دورن: **(يدندن بصوت خافت)** «خبريها يا زهيراتى..»[١]

أركادينا: ثم إنى دقيقة كإنجليزى. أنا يا عزيزتى أمسك نفسى، كما يقولون، كوتر مشدود، ودائما مهندمة ومصففة Comme il faut [٢]. هل أسمح لنفسى بالخروج من البيت، ولو إلى هذه الحديقة، فى البلوزة فقط وغير مصففة؟ أبدا. لهذا حافظت على شبابى لأنى لم أكن يوما شعثاء ولم أهمل نفسى كما يفعل البعض.. **(تضع يديها فى خصرها وتذرع الميدان)** انظروا، مثل الكتكوتة مستعدة أن ألعب ولو فتاة فى الخامسة عشرة.

دورن: حسنا، ومع ذلك فسأواصل **(يتناول الكتاب)** لقد توقفنا عند الحانوتى والعرسات..

أركادينا: والعرسات. اقرأ **(تجلس)** كلا، هات، سأقرأ أنا. جاء دورى. **(تأخذ الكتاب وتبحث فيه بعينيها)** والعرسات.. ها هى.. **(تقرأ)** «ومن المفهوم أن تدليل أفراد المجتمع الراقى للكتاب وجذبهم إليهم هو خطر

---

(١) من أوبرا «فاوست» لجونو، دور زيبل. المعرب.

(٢) كما ينبغى (بالفرنسية فى الأصل).

عليهم مثلما هو خطر على الحانوتى تربية عرسات فى مخازنه. ومع ذلك فإنهم محبوبون. وهكذا، فعندما تختار المرأة الكاتب الذى تود أن تأسره فإنها تحاصره بواسطة المجاملات والملاطفات والتودد..» حسنا، ربما كان هذا لدى الفرنسيين، أما عندنا فليس هناك أى شىء مثل هذا، ليس هناك أية برامج. المرأة عندنا كالعادة قبل أن تأسر الكاتب تكون قد غرقت فى حبه إلى أذنيها، صدقونى. ولماذا نذهب بعيدا، خذوا مثلا ولو أنا وتريجورين..

(يسير سورين معتمدا على عصاه، وبجواره نينا. مدفيدينكو يدفع خلفهما مقعدا خاليا)

سورين: **(بنبرة كالتى يلاطفون بها الأطفال)** حقا؟ نحن مسرورون؟ نحن اليوم مرحون فى نهاية الأمر؟ **(لأخته)** نحن مسرورون. الأب وزوجته رحلا إلى تفير، ونحن أحرار لثلاثة أيام كاملة.

نينا: **(تجلس إلى جوار أركادينا وتعانقها)** أنا سعيدة! أنا الآن تحت تصرفك.

سورين: **(يجلس فى مقعده)** إنها اليوم حلوة.

أركادينا: أنيقة، جذابة..شاطرة على ذلك. **(تقبل نينا)** ولكن لا ينبغى أن نمتدحك كثيرا، وإلا خسرناك. أين بوريس أليكسييفتش؟

نـــيـــنـــا: في المسبح، يصطاد السمك.

أركــاديــنــا: كيف لا يمل! **(تود مواصلة القراءة)**.

دورن: ماذا تقرئين؟

أركــاديــنــا: موباسان «فوق المياه» يا عزيزتي. **(تقرأ عدة أسطر في سرها)** حسنا، المكتوب بعد ذلك ليس طريفا أو صحيحا. **(تغلق الكتاب)** أشعر في نفسي بالقلق. خبروني، ماذا يحدث لابني؟ لماذا هو كئيب وعابس هكذا؟ إنه يقضي أياما بطولها عند البحيرة، ولا أراه تقريبا.

مـــاشـــا: هناك شيء يعذب روحه. **(لنينا بوجل)** أرجوك، اقرئي شيئا من مسرحيته!

نـــيـــنـــا: **(تهز كتفيها)** أحقا تريدين؟ إنها مملة جدا!

مـــاشـــا: (**تكبت إعجابها)** عندما يقرأ هو شيئا ما، تشتعل عيناه ويشحب وجهه. لديه صوت رائع، حزين. أما حركاته فمثل شاعر.

(يسمع شخير سورين)

دورن: ليلة سعيدة!

أركــاديــنــا: بتروشا!

ســوريــن: هه؟

أركــاديــنــا: أنت نائم؟

ســوريــن: أبدا.

(صمت)

أركـــاديـــنـــا: أنت لا تتعالج، لا يصح يا أخى.

ســـــوريـــــن: بودى لو أتعالج، ولكن الدكتور لا يريد.

دورن: تتعالج فى سن الستين!

ســـــوريـــــن: حتى فى الستين يود الإنسان أن يعيش.

دورن: **(بأسى)** إيه! حسنا، تناول قطرات فاليريانة.

أركـــاديـــنـــا: أظن أنه من المفيد له أن يرحل إلى المنابع المعدنية.

دورن: طيب. يمكنه أن يرحل. ويمكنه ألا يرحل.

أركـــاديـــنـــا: فلتحاول أن تفهم.

دورن: ليس هناك ما يفهم. كل شىء واضح.

(صمت)

مـدفيـدينكـو: من الواجب على بيوتر نيكولايفتش أن يقلع عن التدخين.

ســـــوريـــــن: هراء.

دورن: كلا، ليس هراء. الخمر والتبغ يطمسان الشخصية. فبعد السيجار أو كأس الفودكا لا تعود أنت بيوتر نيكولايفتش، بل بيوتر نيكولايفتش زائد، أحد آخر. تتلاشى ذاتك الخاصة وعندها تنظر إلى نفسك نظرتك إلى شخص غائب.. هو.

ســـــوريـــــن: **(يضحك)** بوسعك أن تتفلسف. لقد رأيتَ الكثير فى حياتك، أما أنا؟ لقد خدمت فى إدارة المحاكم

٢٨ سنة، ولكنى لم أعش بعد، لم أجرب شيئا، وفى نهاية الأمر، وهذا شىء مفهوم، فأنا أتوق إلى الحياة. أنت شبعان ولا مبال ولذلك تميل إلى الفلسفة، أما أنا فأريد أن أعيش، ولذلك أشرب أثناء الغداء نبيذ «الخيريس» وأدخن السيجار وخلافه. تلك هى المسألة.

دورن: ينبغى أن ننظر إلى الحياة بجدية، أما أن تتعالج فى سن الستين وتأسف على أنك لم تتمتع فى صباك بما يكفى، فهذا، وأرجو المعذرة، استهتار.

ماشا: **(تنهض)** أظن حان موعد الإفطار **(تسير بخطوة كسول متثاقلة)** ساقى نملت.. **(تنصرف)**.

دورن: ستذهب لتشرب كأسين قبل الإفطار.

سورين: المسكينة محرومة من السعادة الخاصة.

دورن: هراء يا صاحب المعالى.

سورين: أنت تتحدث كشخص شبعان.

أركادينا: آه، ما الذى يمكن أن يكون أكثر مللا من هذا الملل الريفى اللطيف! الجو حار، هادئ، لا أحد يفعل شيئا، الكل يتفلسفون.. الجلوس بينكم طيب يا أصدقاء، وسماعكم لطيف ولكن.. الجلوس فى الفندق وحفظ الدور أفضل بكثير!

نينا: **(بإعجاب)** جميل! إننى أفهمك.

سورين: بالطبع فى المدينة أحسن. تجلس فى غرفة مكتبك،

والحاجب لا يسمح لأحد بالدخول دون إذنك، والتليفون.. وفى الشارع الحوذية وخلافه..

دورن: **(يدندن)** «خبريها يا زهيراتى..»

(يدخل شمرايف، وتتبعه بولينا أندرييفنا)

شمرايف: ها هم جماعتنا. طاب يومكم! **(يلثم يد أركادينا ثم يد نينا)** سعيد جدا برؤيتكم فى كامل صحتكم **(لأركادينا)** وزوجتى تقول إنك تنوين الرحيل معها اليوم إلى المدينة. صحيح؟

أركادينا: نعم. ننوى.

شمرايف: إم.. هذا رائع. ولكن كيف سترحلين يا سيدتى الموقرة؟ اليوم ينقلون الجودار وجميع العمال مشغولون. فعلى أية خيول إذن سترحلين لو سمحت بالسؤال؟

أركادينا: على أية خيول؟ ومن أين أعرف!

سورين: ولكن لدينا خيول عربات.

شمرايف: **(مضطربا)** خيول عربات؟ ومن أين آتى بالنيور؟ من أين أحصل عليها؟ شىء عجيب! شىء غير معقول! يا سيدتى الموقرة! عفوا، إننى أنحنى أمام موهبتك، ومستعد أن أعطى من أجلك عشر سنوات من عمرى ولكنى لا أستطيع أن أعطيك خيولا!

أركادينا: ولكن إذا كان علىّ أن أرحل؟ شىء غريب!

شمرايف: يا سيدتى الموقرة! أنت لا تعرفين ما معنى إدارة الممتلكات.

أركــاديــنــا: **(منفجرة)** نفس الحكاية القديمة! فى هذه الحالة سأرحل إلى موسكو اليوم. مُر بتأجير خيول لى من القرية، وإلا ذهبت إلى المحطة على قدمى!

شــمــرايــف: **(منفجرا)** فى هذه الحالة أقدم استقالتى! ابحثى لنفسك عن خولى آخر! **(ينصرف)**

أركــاديــنــا: كل صيف هكذا، كل صيف يهينوننى هنا! لن أضع قدمى هنا بعد اليوم!

(تمضى يسارا إلى حيث من المفترض أن يكون المسبح. ترى بعد دقيقة وهى تدخل المنزل وخلفها يسير تريجورين حاملا سنانير ودلوا).

ســوريــن: **(منفجرا)** هذه وقاحة! الشيطان يعلم ما هذا! لقد مللت هذا فى نهاية الأمر. هاتوا جميع الخيول هنا حالا!

نــيــنــا: **(لبولينا أندرييفنا)** أيرفض طلب إيرينا نيكولايفنا، الممثلة الشهيرة! أليست أية رغبة من رغباتها، ولتكن حتى نزوة، أهم من كل ممتلكاتكم؟ غير معقول!

بولينا أندرييفنا: **(فى يأس)** وماذا أستطيع؟ ضعى نفسك مكانى، ماذا بوسعى أن أفعل؟

ســوريــن: **(لنينا)** فلنذهب إلى أختى.. سنتوسل إليها كلنا ألا ترحل. أليس كذلك؟ **(ينظر إلى الجهة التى مضى نحوها شمرايف)** شخص لا يطاق! طاغية!

نــيــنــا: **(تمنعه من النهوض)** اجلس، اجلس.. سندفعك..

(تدفع الكرسى المتحرك هى ومدفيدينكو)

أوه، ما أفظع ذلك!..

ســــوريــــن: نعم، نعم، هذا فظيع..ولكنه لن يستقيل، سأتحدث الآن معه.

(يخرجون. يبقى فقط دورن وبولينا أندرييفنا).

دورن: الناس مملون. فى الحقيقة ينبغى طرد زوجك شر طردة، ولكن كل شيء سينتهى بأن يعتذر إليه بيوتر نيكولايفتيش، هذه المرأة العجوز، هو وشقيقته. سترين!

بولينا أندرييفنا: حتى خيول العربات بعث بها إلى الحقل. وهذه الملابسات تحدث كل يوم. آه لو تعلم كم يثيرنى ذلك! إننى أمرض، أترى ها أنذا أرتجف..لن أقوى على تحمل فظاظته **(بصوت ضارع)** يفجينى يا عزيزى، أيها الغالى، خذنى إليك.. عمرنا يولىّ، ولم تعد شبابا، دعنا على الأقل فى آخر العمر لا نتخفى، لا نكذب..

(صمت)

دورن: أنا الآن فى الخامسة والخمسين، فات الأوان لتغيير حياتى.

بولينا أندرييفنا: أنا أعرف أنك تصدنى لأن هناك نساء غيرى قريبات إليك. ولا يمكن أن تأخذهن جميعا إليك. أنا أفهم. عفوا أضجرتك.

(نينا تظهر قرب البيت. تقطف الزهور)

دورن: لا، لا بأس.

بولينا أندرييفنا: أنا أعانى من الغيرة. طبعا أنت طبيب، ولا تستطيع أن تتحاشى النساء. أنا أفهم..

دورن: **(لنينا التى اقتربت)** كيف الحال هناك؟

نينا: إيرينا نيكولايفنا تبكى، أما بيوتر نيكولايفتش فلديه أزمة ربو.

دورن: **(ينهض)** سأذهب لأعطيهما معا قطرات فاليريانة..

نينا: **(تقدم له الزهور)** تفضل!

دورن: Merci bien **(يذهب إلى المنزل)**

بولينا أندرييفنا: **(تذهب معه)** ما أرقها من أزهار! **(قرب المنزل بصوت أصم)** أعطنى هذه الأزهـار! أعطنى هذه الأزهار! **(تأخذها فتمزقها وتلقى بها جانبا)**

(يدخلان المنزل معا)

نينا: **(وحدها)** ما أغرب أن ترى ممثلة مشهورة تبكى، ولسبب تافه كهذا! وأليس من الغريب أن هذا الكاتب المعروف، معشوق الجماهير، الذى تكتب عنه جميع الصحف، وتباع صوره، ويترجم إلى اللغات الأجنبية، يقضى النهار كله فى صيد السمك، بل ويفرح لأنه اصطاد سمكتين صغيرتين. كنت أظن أن المشاهير أعزاء، لا يمكن بلوغهم، وأنهم يحتقرون الجمهور، وكأنما بشهرتهم وبريق أسمائهم ينتقمون منه جزاء على أنه يضع عراقة النسب والثروة فوق كل شىء. ولكن ها هم يبكون، ويصيدون السمك، ويلعبون الورق، يضحكون ويغضبون كبقية الناس.

تـريـبـلـيـف: **(يدخل بدون قبعة، ببندقية ونورس مقتول)** أنت هنا وحدك؟

نـيـنـا: وحدى.

(تريبليف يضع النورس تحت قدميها)

ما معنى هذا؟

تـريـبـلـيـف: ارتكبت اليوم دناءة بقتل هذا النورس. ها أنذا أضعه تحت قدميك.

نـيـنـا: ماذا بك؟ **(ترفع النورس وتتفصحه)**

تـريـبـلـيـف: **(بعد فترة صمت)** قريبا أقتل نفسى بهذه الصورة.

نـيـنـا: أنا لا أكاد أعرفك.

تـريـبـلـيـف: نعم، بعد أن أصبحتُ لا أتعرف عليك. لقد تغيرت نحوى، ونظرتك باردة، وحضورى يثقل عليك.

نـيـنـا: لقد أصبحتَ عصبيا فى الأيام الأخيرة، تتحدث دائما بصورة غير مفهومة، برموز ما. وهذا النورس أيضا يبدو رمزا، ولكنى، عفوا، لا أفهم.. **(تضع النورس على الأريكة)** أنا أبسط من أن أفهمك.

تـريـبـلـيـف: بدأ هذا من ذلك المساء الذى فشلت فيه مسرحيتى بتلك الصورة الحمقاء. النساء لا يغفرن الفشل. لقد أحرقت كل شىء، كل شىء حتى آخر مزقة. آه لو تدرين كم أنا تعيس! برودك نحوى رهيب، غير معقول، كأنما استيقظت فإذا بى أرى هذه البحيرة قد جفت فجأة

أو غاض ماؤها. لقد قلت لتوك إنك أبسط من أن تفهميني. أوه، ما الذى لا يمكن فهمه؟! المسرحية لم تعجبك، أنت تحتقرين إلهامى، أصبحت تعتبريننى عاديا، تافها، مثل كثيرين آخرين.. **(يدق بقدمه)** كم أفهم ذلك جيدا، كم أفهمه! كأنما فى دماغى مسمار، عليه اللعنة هو وغرورى الذى يمص دمى، يمصه كثعبان.. **(يرى تريجورين الذى يسير وهو يقرأ كتابا)** ها هى موهبة حقيقية تسير؛ يخطو كهاملت، وأيضا يحمل كتابا **(مغيظا)** «كلمات، كلمات، كلمات..» هذه الشمس لم تصل إليك بعد بينما رحت تبسمين، وذابت نظرتك فى أشعتها، لن أثقل عليكما **(ينصرف بسرعة)**.

تـريجـوريـن: **(يسجل فى المفكرة)** تتعاطى السعوط وتشرب الفودكا.. دائما فى ثوب أسود. المدرس يحبها.

نـــيـــنـــا: مرحبا يا بوريس أليكسييفتش!

تـريجـوريـن: مرحبا. تغيرت الظروف فجأة بحيث يبدو أننا سنسافر اليوم. لا أظن أننا سنلتقى مرة أخرى. وهذا مؤسف. أنا لا يتسنى لى كثيرا أن أقابل فتيات شابات، شابات وممتعات، لقد نسيت ولا أستطيع أن أتصور بوضوح أحاسيس من فى الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة، ولذلك تبدو الفتيات الشابات فى رواياتى وقصصى عادة مزيفات. كم وددت لو أصبحت مكانك ولو

ساعة واحدة لكى أعرف كيف تفكرين، وعموما لأعرف أى شىء أنت.

نـــيـــنـــا: أما أنا فأود لو أصبح مكانك.

تـــريجـــوريـــن: لماذا؟

نـــيـــنـــا: لكى أعرف إحساس الكاتب الموهوب المشهور. ما هو الإحساس بالشهرة؟ كيف تحس بشهرتك؟

تـــريجـــوريـــن: كيف؟ يبدو أننى لا أحس بها. لم أفكر فى ذلك أبدا. **(بعد تفكير)** أحد أمرين: إما أنك تبالغين فى شهرتى، أو أنها عموما غير محسوسة.

نـــيـــنـــا: وإذا قرأت ما تكتبه الصحف عنك؟

تـــريجـــوريـــن: عندما يمتدحوننى أشعر بالسرور، وعندما يذموننى أظل يومين بعدها معتل المزاج.

نـــيـــنـــا: عالم ساحر! آه لو تدرى كم أغبطك! حظوظ الناس مختلفة. البعض يتخبطون فى حياة مملة، غير ملحوظة، وكلهم متشابهون، كلهم تعساء. والبعض الآخر، أنت مثلا، أنت واحد فى المليون، أصبح من نصيبه حياة شيقة، مشرقة مفعمة بالمعنى.. أنت سعيد..

تـــريجـــوريـــن: أنا؟ **(يهز كتفيه)** هم.. أنت تتحدثين عن الشهرة، عن السعادة، وعن حياة ما مشرقة، شيقة، أما بالنسبة لى فكل هذه الكلمات الطيبة، عفوا، ليست سوى حلوى المرملاد التى لا أتناولها أبدا. أنت شابة جدا وطيبة جدا.

نـــيـــنـــا: حياتك رائعة!

تـريجـوريـن: وما هو الرائع فيها؟ (**يتطلع إلى ساعته**) ينبغى علىّ أن أمضى الآن لأكتب. عفوا، أنا مشغول.. (**يضحك**) أنت، كما يقال، لمست أحد أوتارى الحساسة وها أنذا قد بدأت أنفعل وأغضب قليلا. وعموما فلنتحدث. سنتحدث عن حياتى الرائعة المشرقة.. حسنا، بم نبدأ؟ (**يفكر قليلا**) هناك تصورات قسرية، عندما يظل الإنسان يفكر ليل نهار فى القمر مثلا، وأنا أيضا لدى مثل هذا القمر. فليل نهار تطاردنى فكرة واحدة لا فكاك منها: ينبغى أن أكتب، ينبغى أن أكتب، ينبغى.. وما إن أنتهى من رواية حتى يتوجب علىّ، لسبب ما، أن أكتب ثانية، فثالثة، وبعد الثالثة رابعة.. أكتب بلا انقطاع، دون توقف، ولا يمكننى إلا هكذا. فأى شىء رائع ومشرق فى ذلك، إننى أسألك؟ أوه، يالها من حياة فظيعة! ها أنذا الآن معك، منفعل، ومع ذلك لا أنسى لحظة واحدة أن هناك فى انتظارى رواية لم تكتمل. ها أنذا أرى سحابة تشبه المعزف. فأقول لنفسى: ينبغى أن أشير فى إحدى القصص القادمة إلى أنه قد مرت سحابة تشبه المعزف. وتفوح رائحة رقيب الشمس. وعلى الفور ألاحظ لنفسى: رائحة حلوة لاذعة، لون أرملى، تجب الإشارة إليه عند وصف أمسية صيفية. أترصد

كل عبارة أقولها أو تقولينها، وأسارع بحبس كل هذه العبارات والكلمات فى مخزنى الأدبى.. ربما تنفع! عندما أفرغ من العمل أركض إلى المسرح أو لصيد السمك. وهنا ينبغى أن أستريح وأركن إلى النسيان، ولكن لا، ففى رأسى تبدأ فى الدوران كرة حديدية ثقيلة: موضوع جديد، ويروح يشدنى إلى المكتب، ولا بد من الإسراع إلى الكتابة والكتابة مرة أخرى. وهكذا دائما، دائما، ولا راحة لى من ذاتى، وأشعر أننى ألتهم حياتى، وأنه من أجل العسل الذى أقدمه لمجهول فى الفراغ فإننى أسلب أفضل أزهارى رحيقها، وأمزق الزهور نفسها وأدوس جذورها. أفلست مجنونا؟ وهل يعاملنى أهلى ومعارفى معاملتهم لشخص سليم؟ «ماذا تكتبون؟ ماذا ستهدوننا؟» دائما نفس الشىء، ويخيل إلىَّ أن اهتمام المعارف والمديح والإعجاب... كل ذلك خداع، يخدعوننى كمريض، وأحيانا أخشى أن يتسللوا من خلفى فجأة فيمسكون بى، ويحملوننى مثل بوبريشين[1] إلى مستشفى المجاذيب. أما فى تلك السنوات، سنوات الشباب، أجمل السنوات، عندما بدأت، كانت الكتابة بالنسبة لى محض عذاب. فالكاتب

(١) بوبريشين هو بطل قصة «مذكرات مجنون» للكاتب الروسى المعروف نيقولاى جوجول (١٨٠٩ ـ ١٨٥٢). المعرب.

الصغير، خاصة عندما يكون سيىء الحظ، يبدو لنفسه أخرق، مضطربا، زائدا عن الحاجة، وأعصابه متوترة، مرهقة. وتراه يحوم مشدودا حول الأشخاص ذوى العلاقة بالأدب والفن، غير معترف به، غير مُلْتَفت إليه، يخشى أن ينظر مباشرة وبجرأة فى الأعين، كأنما مقامر ولوع لا نقود لديه. أنا لم أر قارئى، ولكنى تصورته فى خيالى لسبب ما عدائيا، مستريبا. كنت أخشى الجمهور، كان مرعبا بالنسبة لى، وعندما تقدم لى مسرحية جديدة كان يخيل إلىَّ فى كل مرة أن ذوى الشعر الأسود يقفون موقفا عدائيا، أما الشقر فلا مبالون ببرود. أوه ما أفظع ذلك! يا له من عذاب كان!

نـــيـــنـــا: عفوا، ولكن ألا يمنحك الإلهام وعملية الإبداع ذاتها لحظات سامية سعيدة؟

تـريجــوريــن: بلى. عندما أكتب أشعر بالسرور، وقراءة البروفات أيضا سارة، ولكن.. ما إن يخرج العمل من المطبعة حتى لا أعود أطيقه، وأرى بالفعل أنه ليس المطلوب، أنه غلطة، وما كان ينبغى أن أكتبه أصلا، فأشعر بالأسى، ويتملك روحى القرف.. **(ضاحكا)** أما الجمهور فيقرأ: «نعم، لطيف، موهوب.. لطيف ولكن شتان بينه وبين تولستوى» أو «قصة رائعة، ولكن «الآباء والأبناء» لتورجينيف أحسن. وهكذا حتى المات سيظل كل

شىء لطيفًا وموهوبًا فقط، لطيفًا وموهوبًا ولا شىء أكثر، وبعد أن أموت سيقول المعارف وهم يمرون بقبرى: «هنا يرقد تريجورين. كان كاتبا جيدا، لكنه كان يكتب أسوأ من تورجينيف».

نـــيـــنـــا: عفوا، إننى لا أستطيع أن أفهمك. لقد أفسدك النجاح.

تـريجـوريـن: أى نجاح؟ أنا لم أعجب نفسى أبدا. أنا لا أحب نفسى ككاتب. أسوأ ما فى الأمر أننى فى دخان ما وكثيرا ما لا أفهم ما أكتب..إننى أحب هذه المياه، والأشجار، والسماء، وأحس بالطبيعة، وهى تثير فى نفسى العواطف والرغبة العارمة فى الكتابة. ولكنى لست مجرد راسم مناظر، بل مواطن أيضا، أحب وطنى وشعبى، وأشعر أننى مادمت كاتبا، فلزام علىّ أن أتحدث عن الشعب عن آلامه، عن مستقبله، أتحدث عن العلم، عن حقوق الإنسان وغيرها وغيرها، فأتحدث عن كل ذلك، وأتعجل، ومن جميع الجهات يستعجلوننى، ويغضبون منى، فأركض من ركن إلى ركن، كالثعلب الذى تطارده الكلاب، وأرى أن الحياة والعلم يتقدمان حثيثا إلى الأمام، أما أنا فأتخلف عنهما أكثر فأكثر، كالفلاح الذى تأخر عن القطار. وفى نهاية الأمر أشعر أننى لا أجيد سوى تصوير المناظر، وفى كل ما عداه فأنا مزيف، مزيف حتى النخاع.

نـــيــــنـــــا: لقد استغرقك العمل، فلم يعد لديك وقت أو رغبة فى إدراك قيمتك. فلتكن غير راض عن نفسك، ولكنك بالنسبة للآخرين عظيم ورائع! لو كنت أنا كاتبة مثلك لوهبت الجمهور كل حياتى، ولكنى كنت أظل أدرك أن سعادته الوحيدة هى أن يرقى إلىّ، ولحملنى الجمهور على عجلة.

تــريجــوريــن: هه، عجلة.. وهل أنا أجاممنون أم ماذا؟

(يبتسمان كلاهما)

نـــيــــنـــــا: من أجل سعادة أن أكون كاتبة أو ممثلة أنا مستعدة أن أتحمل كراهية الأقارب، والفاقة، وخيبة الأمل، أن أعيش فى غرفة سطح وآكل الخبز الأسود فقط، أن أعانى من عدم الرضا عن النفس ومن إدراك عيوبى، ولكن فى مقابل ذلك كنت أطالب بالشهرة.. الشهرة الحقيقية، الصاخبة.. **(تغطى وجهها بيديها)** رأسى يدور.. أف!..

صوت أركادينا: **(من المنزل)**: يا بوريس أليكسييفتش!

تــريجــوريــن: ينادونى.. يبدو لترتيب الحقائب. لا أريد أن أرحل. **(يتطلع إلى البحيرة)** يا لها من روعة!.. جميل!

نـــيــــنـــــا: أترى ذلك البيت والحديقة على الشاطىء الآخر؟

تــريجــوريــن: نعم.

نـــيــــنـــــا: إنها ضيعة المرحومة أمى. أنا ولدت هناك. قضيت حياتى كلها بجوار هذه البحيرة وأعرف كل جزيرة صغيرة فيها.

تـــريجـــوريـــن: ما أروع المكان هنا! **(يرى النورس)** وما هذا؟

نـــيـــنـــا: نورس. قتله قسطنطين جافريليتش.

تـــريجـــوريـــن: طائر جميل. حقا لا أرغب فى الرحيل. هيا أقنعى إيرينا نيكولايفنا بالبقاء **(يدون فى مفكرته)**.

نـــيـــنـــا: ماذا تكتب؟

تـــريجـــوريـــن: هكذا، أسجل.. موضوع خطر لى.. **(يخفى المفكرة)** موضوع لقصة قصيرة: على شاطئ بحيرة تعيش منذ الصبا فتاة شابة، مثلك. تحب البحيرة كالنورس، وهى سعيدة، حرة كالنورس. ولكن جاء شخص صدفة فرآها، ومن الفراغ قضى عليها كما قضى على هذا النورس.

(صمت)

(تلوح أركادينا فى النافذة)

أركـــاديـــنـــا: بوريس أليكسييفتش، أين أنت؟

تـــريجـــوريـــن: حالا! **(يمضى وهو يتلفت نحو نينا. عند النافذة، لأركادينا)** ماذا؟

أركـــاديـــنـــا: سنبقى.

(تريجورين يدخل المنزل)

نـــيـــنـــا: **(تقترب من مقدمة الخشبة. بعد فترة تفكير)** حلم!

(ستار)

الفصل الثالث

(غرفة الطعام فى منزل سورين. من اليمين واليسار بابان، صوان بوفيه. صوان أدوية. فى وسط الغرفة طاولة. حقيبة وعلب كارتون. آثار الاستعداد للرحيل ظاهرة. تريجورين يفطر، وماشا تقف بجوار الطاولة)

مـــــاشـــــا: كل هذا أرويه لك ككاتب. يمكنك أن تستخدمه. أقول لك عن صدق: لو أنه جرح نفسه جرحا خطيرا لما عشت لحظة واحدة. ولكنى شجاعة مع ذلك. ها قد قررت: سأنزع هذا الحب من قلبى، سأنزعه من جذوره.

تـــريجـــوريـــن: بأية طريقة؟

مـــــاشـــــا: سأتزوج من مدفيدينكو.

تـــريجـــوريـــن: من المدرس؟

مـــــاشـــــا: نعم.

تـــريجـــوريـــن: لا أفهم، ما الداعى.

مـــــاشـــــا: لا معنى للحب بلا أمل، وانتظار شىء ما سنوات

طويلة.. ما إن أتزوج حتى لا يعود هناك وقت للحب، الهموم الجديدة ستطغى على كل القديم. ثم إنه، رغم كل شيء، تغيير. ألا نكرر؟

تـــريجـــوريـــن: ألن يكون كثيرا؟

مـــــاشـــــا: ماذا تقول! **(تصب كأسين)** لا تنظر إلىّ هكذا. النساء يشربن أكثر مما تظن، الأقلية يشربن علانية، مثلى، أما الأغلبية فسرًا. نعم. ويشربن فى الأغلب فودكا أو كونياك. **(تقرع كأسها بكأسه)** تمنياتى! أنت رجل بسيط، ومن المؤسف فراقك.

(يشربان)

تـــريجـــوريـــن: أنا نفسى لا أرغب فى الرحيل.

مـــــاشـــــا: فلتطلب منها أن تبقى.

تـــريجـــوريـــن: كلا، الآن لن تبقى. ابنها أصبح سلوكه بعيدا عن أية لباقة. مرة أطلق النار على نفسه، والآن يقال إنه ينوى دعوتى للمبارزة. فلأى غرض؟ يغضب، ويبدى سخطه، ويدعو لأشكال جديدة..حسنا، ولكن هناك متسع لها جميعا. الجديدة والقديمة، فلماذا التزاحم؟

مـــــاشـــــا: ثم الغيرة منك. وعموما فليس هذا شأنى.

(صمت)

(ياكوف يمر من اليسار حاملا حقيبة، تدخل نينا وتتوقف عند النافذة).

مدرسى هذا ليس كبير الذكاء ولكنه رجل طيب وفقير،

ويحبنى جدا، أنا أرثى له. وأرثى لأمه العجوز. حسنا، دعنى أتمنى لك كل خير. لا تذكرنى بسوء. **(تصافحه بقوة)** ممتنة لك جدا على حسن معاملتك. فلترسل لى كتبك، وعليها إهداء حتما. لكن لا تكتب «الموقرة» بل ببساطة: «إلى ماريا التى لا تذكر القرابة والتى لا يُعرف لأى غرض تعيش فى هذه الدنيا». وداعا! **(تنصرف)**

نـــيـــنـــا: **(تمد نحو تريجورين يدها بقبضة مضمومة)** فردى أم زوجى؟

تـــريجـــوريـــن: زوجى.

نـــيـــنـــا: **(متنهدة)** كلا. ليس فى يدى غير حبة واحدة. وقد خمنت لنفسى: هل أتجه نحو التمثيل أم لا؟ لو ينصحنى أحد.

تـــريجـــوريـــن: هنا لا يمكن النصح.

(صمت)

نـــيـــنـــا: إننا نفترق و.. على الأرجح لن نلتقى أبدا. أرجو أن تقبل منى للذكرى هذه الميدالية الصغيرة. لقد أمرت بحفر الأحرف الأولى من اسمك عليها..ومن هذه الناحية عنوان روايتك «الأيام والليالى».

تـــريجـــوريـــن: يا لها من رشيقة! **(يقبّل الميدالية)** هدية ساحرة!

نـــيـــنـــا: تذكَّرْنى أحيانًا.

تـــريجـــوريـــن: سأتذكر. سأتذكرك كما كنت فى ذلك اليوم المشرق،

أتذكرين؟ منذ أسبوع، عندما كنت فى فستان فاتح..
تحدثنا آنذاك.. وعلى الأريكة كان ممددا نورس أبيض.

نــــيـــــنــــا: **(مستغرقة فى التفكير)** نعم، نورس..

(صمت)

لا يمكننا مواصلة الحديث، إنهم قادمون.. قبيل السفر أعطنى دقيقتين، أتوسل اليك.. **(تنصرف يسارا)**

(يدخل من اليمين دفعة واحدة أركادينا وسورين مرتديا حلة رسمية بنجمة، ثم ياكوف المهموم بترتيب المتاع).

أركـــاديـــنـــا: ابق أيها العجوز هنا. إلى أين تريد الذهاب بروماتيزمك هذا؟ **(لتريجورين)** من الذى خرج من هنا،؟ نينا؟

تــريجــوريــن: نعم.

أركـــاديـــنـــا: Pardon، أزعجناكما.. **(تجلس)** يبدو رتبت كل شىء. تعبت للغاية.

تــريجــوريــن: **(يقرأ على الميدالية)** «الأيام والليالى» صفحة ١٢١ السطران ١١، ١٢

يـــــاكـــــوف: **(ينظف الطاولة)** أتأمرون بجمع السنانير أيضا؟

تــريجــوريــن: نعم، سأحتاج إليها. أما الكتب فأعطها لأى شخص.

يـــــاكـــوف: حاضر.

تــريجــوريــن: **(لنفسه)** صفحة١٢١، السطران ١١، ١٢ ترى ماذا فى هذين السطرين؟ **(لأركادينا)** هل توجد مؤلفاتى هنا فى البيت؟

أركـــاديـــنـــا: عند أخى فى مكتبه، فى الصوان الركنى.

تــريجــوريــن: صفحة ١٢١.. **(ينصرف)**

أركـــاديـــنـــا: حقا يا بتروشا، فلتبق فى البيت..

ســــوريــــن: أنتم راحلون، سأشعر بالكآبة بدونكم هنا.

أركـــاديـــنـــا: وماذا فى المدينة؟

ســــوريــــن: لا شىء ذو أهمية، ومع ذلك. **(يضحك)** سيضعون حجر الأساس لمبنى مجلس الإقليم وخلافه.. أريد ولو لساعة أو ساعتين أن أنفض عنى هذه الحياة التافهة، فقد بقيت ملقى كمبسم سجاير قديم. أمرت بتجهيز الخيول فى الساعة الواحدة، سنرحل معا.

أركـــاديـــنـــا: **(بعد فترة صمت)** حسنا. ابق هنا ولا تضجر، لا تمرض. راقب ابنى. حافظ عليه. أرشده.

(صمت)

ها أنذا أرحل دون أن أعرف لماذا أطلق قسطنطين النار على نفسه. يبدو لى أن السبب الرئيسى كان الغيرة، وكلما أسرعت بإبعاد تريجورين عن هنا كان أفضل.

ســــوريــــن: ماذا أقول لك؟ كانت هناك أسباب أخرى. شىء مفهوم، فهو شاب، ذكى، يعيش فى قرية، فى ركن معزول، بلا نقود، بلا مركز، بلا مستقبل. بدون أى عمل. يخجل من فراغة ويخشاه. إننى أحبه للغاية، وهو أيضا متعلق بى، ومع ذلك، وفى نهاية الأمر، يبدو له أنه زائد عن الحاجة فى البيت، وأنه طفيلى، عالة. شىء مفهوم، عزة النفس..

أركـــاديـــنـــا: يا ويلي منه! **(مستغرقة في التفكير)** ربما ينبغي أن يلتحق بوظيفة..

ســـوريـــن: **(مصفرا، ثم بتردد)** يبدو لي أن أفضل شيء لو أنك.. أعطيته بعض النقود. فقبل كل شيء هو بحاجة إلى ملابس تليق بإنسان وخلافه. انظري، إنه لا يخلع عنه هذه البدلة الحقيرة ثلاث سنوات، وليس لديه معطف.. **(يضحك)** ثم إن الشاب بحاجة إلى التسلية قليلا.. ربما يستحسن أن يسافر إلى الخارج..هذا لا يكلف كثيرا.

أركـــاديـــنـــا: بل يكلف..ربما أقدر على البدلة، أما السفر إلى الخارج.. كلا، الآن لا أقدر حتى على البدلة. **(بحزم)** ليس لديَّ نقود!

(سورين يضحك)

ليس لديَّ!

ســـوريـــن: **(مصفرا)** هكذا. عفوا يا عزيزتي، لا تغضبي. أنا أصدقك.. أنت امرأة سمحة، نبيلة.

أركـــاديـــنـــا: **(من خلال الدموع)** ليس لديَّ نقود!

ســـوريـــن: لو كان لديَّ نقود لأعطيته، هذا مفهوم، ولكني لا أملك شيئا، ولا خردة. **(يضحك)** كل معاشي يستولي عليه الخولي وينفقه على الزراعة، وتربية المواشي، وتربية النحل، وتضيع نقودي هباء. فالنحل ينفق، والأبقار تنفق، أما الخيول فلا يقدمونها لي أبدا..

أركــاديــنــا: نعم، أنا لديَّ نقود، ولكنى ممثلة. الأزياء وحدها أفلستنى تماما.

ســوريــن: أنت طيبة، رقيقة...أنا أحترمك..نعم..ولكنى أشعر ثانية بذلك الـ.. (**يترنح**) رأسى يدور. (**يتشبث بالطاولة**) أشعر بدوار وخلافه.

أركــاديــنــا: (**بذعر**) بتروشا! (**تحاول إسناده**) بتروشا يا عزيزى.. (**تصرخ**) ساعدونى! ساعدونى!..

(يدخل تريبليف معصوب الرأس، ومدفيدينكو لديه إغماء!)

ســوريــن: لا بأس، لا بأس..(**يبتسم ويشرب ماء**) انتهى كل شىء..وخلافه..

تــريــبــلــيــف: (**لأمه**) لا تخافى يا ماما، هذا ليس خطيرا. أصبح ذلك يحدث له كثيرا. (**لخاله**) يلزمك أن ترقد فى الفراش يا خالى.

ســوريــن: قليلا، نعم.. ومع ذلك سأذهب إلى المدينة.. سأرقد قليلا ثم أسافر..شىء مفهوم.. (**يسير معتمدا على عصا**)

مـدفيـدينكـو: (**يقوده من تحت إبطه**) اسمع هذا اللغز: فى الصباح يسير على أربع، وفى الظهر على اثنتين، وفى المساء على ثلاث..

ســوريــن: (**يضحك**) بالضبط. وفى الليل على ظهره. أشكرك، أستطيع أن امشى بنفسى..

مـدفيـدينكـو : دعك من الكلفة!

(ينصرف مع سورين)

أركـــاديـــنــا: كم أفزعنى!

تـريـبـلـيـف: الحياة فى الريف ضارة بصحته. إنه يشعر بالوحشة. لو أنك يا ماما تكرمت عليه وأقرضته حوالى ألف وخمسمائة أو ألفين لاستطاع أن يعيش فى المدينة عاما كاملا.

أركـــاديـــنــا: ليس لدىّ نقود. أنا ممثلة ولست بنكيرة.

(صمت)

تـريـبـلـيـف: ماما، غيِّرى لى الضمادة. أنت تجيدين ذلك.

أركـــاديـــنــا: **(تستخرج من الصوان اليودفورم ودرجا به مواد التضميد)** لقد تأخر الدكتور.

تـريـبـلـيـف: وعد أن يأتى فى العاشرة، وها نحن الآن فى الضحى.

أركـــاديـــنــا: اجلس **(تنزع الضمادة عن رأسه)** كأنك ترتدى عمامة. بالأمس فى المطبخ سأل أحد الوافدين **عن** جنسيتك. جرحك التأم تقريبا. لم يبق إلا شىء بسيط **(تقبل رأسه)** ألن تعود إلى هذا فى غيابى؟

تـريـبـلـيـف: كلا يا ماما. كانت تلك لحظة يأس جنونى لم أتمالك فيها نفسى. هذا لن يتكرر. **(يقبل يدها)** يداك ماهرتان. أذكر منذ عهد بعيد ـ عندما كنت تعملين فى مسرح حكومى وكنت أنا صغيرا آنذاك ـ وقع شجار فى فنائنا، وضربوا بشدة غسالة من ساكنات البيت. أتذكرين؟

رفعوها فاقدة الوعى.. وكنت تترددين عليها، وتحملين لها الأدوية، وتحممين فى الطست أطفالها. أحقا لا تذكرين؟

أركـــاديـــنـــا: كلا. **(تضع ضمادة جديدة)**

تـريـبـلـيـف: كانت تقطن راقصتا باليه أيضا فى نفس المنزل الذى كنا نقطنه..كانتا تزورانك لشرب القهوة..

أركـــاديـــنـــا: أذكر هذا.

تـريـبـلـيـف: وكانتا، كما أذكر، تقيتين.

(صمت)

فى الآونة الأخيرة، فى هذه الأيام، أحبك برقة وتفان كما كنت أحبك فى الطفولة. لم يعد لدىَّ الآن أحد سواك. ولكن لماذا، لماذا وقف بينى وبينك هذا الرجل.

أركـــاديـــنـــا: أنت لا تفهمه يا قسطنطين. إنه من أنبل الناس..

تـريـبـلـيـف: بيد أنه عندما أبلغوه أننى أنوى تحديه فى مبارزة لم يمنعه النبل من أن يظهر جبنه. يسافر. هروب مزر!

أركـــاديـــنـــا: يا للهراء! أنا التى أبعده عن هنا. وإن علاقتنا لا يمكن أن تعجبك بالطبع، ولكنك ذكى ومهذب، ومن حقى أن أطالبك بأن تحترم حريتى.

تـريـبـلـيـف: أنا أحترم حريتك، ولكن اسمحى لى فى المقابل أن أكون حرا وأنظر إلى هذا الشخص كما أريد. من أنبل الناس! ها نحن نكاد نتشاجر بسببه، أما هو فيجلس فى مكان ما، فى غرفة الجلوس أو فى الحديقة ويضحك منى ومنك، وينوّر نينا ويحاول أن يقنعها نهائيا بأنه عبقرى.

أركـــاديـــنـــا: إنك تجد متعة فى إيذائى. أنا أحترم هذا الرجل وأرجو ألا تتحدث عنه بسوء فى حضورى.

تـريـبـلـيـف: أمـا أنـا فلا أحترمه. أنت أيضا تريديننى أن أعتبره عبقريا، آسف، إننى لا أجيد الكذب، وقصصه ترفضها روحى.

أركـــاديـــنـــا: هذا حسد. الأشخاص المجردون من الموهبة ولكن يدّعونها، لا يبقى أمامهم إلا أن يعيبوا المواهب الحقيقة. يا لها من سلوى بائسة!

تـريـبـلـيـف: (**بسخرية**) المواهب الحقيقية! (**بغضب**) أنا أكثر موهبة منكم جميعا إذا أردت الحقيقة! (**ينزع الضمادة عن رأسه**) أنتم الروتينيون، قد استوليتم على السبق فى الفن ولا تعتبرون مشروعا وحقيقيا إلا ما تصنعونه أنتم، وما عدا ذلك تضطهدونه وتخنقونه! أنا لا أعترف بكم! لا أعترف لا بك ولا به!

أركـــاديـــنـــا: عبثى!..

تـريـبـلـيـف: اذهبى إلى مسرحك اللطيف ومثلى هناك فى مسرحياتك الحقيرة الفاشلة!

أركـــاديـــنـــا: أنا لم أمثل أبدا فى مسرحيات كهذه. دعنى! أنت غير قادر حتى على كتابة فودفيل تافه. أيها الضيق الأفق! أيها العالة!

تـريـبـلـيـف: يا مقتِّرة!

أركـــاديـــنـــا: أيها الشحاذ!

(تريبليف يجلس ويبكى فى صمت)

أيها التافه! **(تذرع الغرفة بانفعال)** لا تبك. لا داعى للبكاء.. **(تبكى)** لا داعى.. **(تلثم جبينه وخديه ورأسه)** يا طفلى العزيز، اعذرنى..اعذر أمك الخاطئة. اعذرنى أنا التعيسة.

تـريـبـلـيـف: **(يعانقها)** آه لو تدرين! لقد فقدتُ كل شىء. إنها لا تحبنى، ولم أعد قادرا على الكتابة.. ضاعت كل أحلامى..

أركـــاديـــنـــا: لا تيأس.. كل شىء سيعود. الآن سأحمله فتعود هى إلى حبك **(تمسح دموعه)** كفى. لقد تصالحنا.

تـريـبـلـيـف: **(يلثم يديها)** نعم يا ماما.

أركـــاديـــنـــا: **(برقة)** تصالح معه أيضا.. لا داعى للمبارزة.. لا داعى، أليس كذلك؟

تـريـبـلـيـف: حسنا.. لكن أرجوك يا ماما، أنا لا أريد أن أقابله. هذا صعب علىّ.. فوق طاقتى..

(يدخل تريجورين)

طيب..سأخرج **(يضع الأدوية فى الصوان بسرعة)** الضمادة سيضعها لى الدكتور..

تـريجـوريـن: **(يفتش فى الكتاب)** الصفحة ١٢١، السطران ١١، ١٢.. ها هما.. **(يقرأ)** «إذا احتجت إلى حياتى فى وقت ما، تعال وخذها».

(يرفع تريبليف الضمادة من الأرض وينصرف)

أركـــاديـــنـــا: **(تنظر إلى الساعة)** سيحضرون الخيول قريبا.

تـــريجـــوريـــن: **(لنفسه)** إذا احتجت إلى حياتى فى وقت ما، تعال وخذها.

أركـــاديـــنـــا: هل كل أمتعتك جاهزة؟

تـــريجـــوريـــن: **(بنفاد صبر)** نعم، نعم.. **(مستغرقا فى التفكير)** لماذا أحسست بالحزن فى هذا النداء من روح طاهرة، وانقبض قلبى متألما هكذا؟.. إذا احتجت إلى حياتى فى وقت ما، تعال وخذها. **(لأركادينا)** فلنبق يوما آخر!

(أركادينا تهز رأسها سلبا)

لنبق!

أركـــاديـــنـــا: أيها العزيز، أنا أعرف ما الذى يشدك هنا. لكن تمالك نفسك. أنت ثمل قليلا، أفق.

تـــريجـــوريـــن: أفيقى أنت أيضا، وكونى ذكية، عاقلة، أتوسل إليك، انظرى إلى كل ذلك نظرة صديق حقيقى.. **(يضغط على يدها)** أنت قادرة على التضحية... كونى صديقى، واتركينى...

أركـــاديـــنـــا: **(بانفعال شديد)** هل أنت عاشق هكذا؟

تـــريجـــوريـــن: إنها تجذبنى! ربما كان ذلك هو بالضبط ما أحتاجه.

أركـــاديـــنـــا: حب فتاة ريفية؟ أوه إنك لا تعرف نفسك!

تـــريجـــوريـــن: أحيانا ينام الناس وقوفا، وهكذا أتحدث إليك وأشعر وكأنى نائم وأراها فى الحلم.. اتركينى..

أركـــاديـــنـــا: **(ترتعش)** كلا، كلا.. أنا امرأة عادية، لا ينبغى أن تتحدث معى هكذا..لا تعذبنى يا بوريس.. إننى خائفة..

تـــريجـــوريـــن: بوسعك أن تصبحى غير عادية لو أردت. الحب الفتى، الساحر، الشاعرى، المحلق بك فى عالم الأحلام.. هذا الحب هو وحده القادر على منح السعادة على وجه الأرض! أنا لم أجرب بعد مثل هذا الحب.. فى الصبا لم يكن لدىَّ وقت، كنت أتمسح بأعتاب المجلات والصحف، كنت أصارع الفاقة.. والآن، ها هو هذا الحب، قد جاء أخيرا، ويجذبنى إليه.. فأى معنى لأن أهرب منه؟

أركـــاديـــنـــا: **(بغضب)** لقد جننت!

تـــريجـــوريـــن: فليكن.

أركـــاديـــنـــا: تآمرتم كلكم علىّ اليوم لتعذيبى! (تبكى)

تـــريجـــوريـــن: **(يمسك برأسه)** إنها لا تفهم! لا تريد أن تفهم!

أركـــاديـــنـــا: أأنا حقا عجوز وقبيحة إلى هذه الدرجة، حتى إنه يمكن التحدث معى دون حرج عن نساء أخريات؟ **(تعانقه وتقبله)** أوه، أنت جننت! يا حبيبى الرائع، المدهش.. أنت آخر صفحة فى حياتى! (تجثو على ركبتيها) يا سعادتى، يا عزتى، يا نعمتى.. (تعانق ركبتيه) لو تتركنى، ولو ساعة فلن أحتمل، سأجن، يا حبيبى الرائع، البديع، يا مولاى..

تـــريجـــوريـــن: قد يدخل أحد هنا **(يساعدها على النهوض)**

أركـــاديـــنـــا: فليكن، أنا لا أخجل من حبى لك. **(تقبل يديه)** يا كنزى، أيها المتهور، أنت تريد أن تستسلم للجنون، وأنا لا أريد، لن أدعك.. **(تضحك)** أنت لى.. لى.. وهذا الجبين لى، والعينان لى، وهذا الشعر الحريرى الرائع أيضا لى.. أنت كلك لى. كم أنت موهوب، ذكى، أنت أفضل الكتاب المعاصرين. أمل روسيا الأوحد..كم لديك من صدق، وبساطة، وطزاجة، وفكاهة حية.. بوسعك بلمسة واحدة أن تعبر عن أهم ما يميز الشخص أو المنظر، وأبطالك كأنهم أحياء. لا يمكن للمرء أن يقرأ لك دون إعجاب! أتظن ما أقول مديحًا؟ تملقًا؟ حسنا، حدق فى عينى.. حدق..هل أشبه الكاذبة؟ هكذا ترى، أنا الوحيدة التى تعرف قدرك. الوحيدة التى تقول لك الحقيقة يا عزيزى يا روحى.. سترحل؟ نعم؟ لن تهجرنى؟..

تـــريجـــوريـــن: ليس عندى إرادة.. لم يكن لدىَّ أبدا إرادة.. طرى، رخـو، مطيع دائـما، أمن المعقول أن ذلك يعجب النساء؟ خـذينى، احملينى، لكن لا تتركينى أبتعد عنك خطوة..

أركـــاديـــنـــا: **(لنفسها)** الآن أصبح لى. **(بلهجة استهتار، وكأنها لم يحدث شىء)** وعموما، إذا أردت، تستطيع أن تبقى.

سأسافر أنا وتأتى أنت فيما بعد، بعد أسبوع. وبالفعل علام تستعجل؟

تريجورين: لا، بل سنسافر معا.

أركادينا: كما تشاء. فليكن معا..

(صمت)

(تريجورين يدون فى مفكرته)

ماذا بك؟

تريجورين: سمعت صباحا تعبيرا جيدا: «غابة العذارى».. قد ينفع **(يتمطى)** إذن سنسافر؟ مرة ثانية هذه العربات، والمحطات، والبوفيهات، والكستليتة، والأحاديث..

شمرايف: **(داخلا)** أتشرف بإخطاركم بمشاعر الحزن بأن الخيول جاهزة. حان الوقت يا سيدتى الموقرة للرحيل إلى المحطة. القطار يأتى فى الثانية وخمس دقائق. وهكذا أرجوك يا إيرينا نيكولايفنا ألا تنسى أن تستعملى أين يوجد الآن الممثل سوزدالتسف؟ هل هو حى؟ وكيف صحته؟ فى وقت ما كنا نشرب معا.. فى «البريد المسروق» لعب بصورة فذة.. أذكر أنه كان يخدم معك آنذاك فى مدينة يليزافيتجراد الممثل التراجيدى إيزمايلوف، أيضا شخصية رائعة.. لا تستعجلى يا سيدتى الموقرة مازال فى الوقت متسع لخمس دقائق. ذات مرة كانا يمثلان فى ميلودراما دور المتآمرين، وعندما اكتشفوهما كان ينبغى

أن يقولا «وقعنا فى الفخ»، ولكن إيزمايلوف صاح: «وقعنا فى الخف».. (**يقهقه**) فى الخف!..

(أثناء حديثه يسعى ياكوف بجوار الحقائب، والخادم تحمل لأركادينا القبعة، والمانطو، والمظلة، والقفاز والجميع يساعدون أركادينا على ارتداء ملابسها. من الباب الأيسر يطل الطاهى الذى يدخل بعد ذلك بقليل مترددًا. تدخل بولينا أندرييفنا، ثم سورين ومدفيدينكو).

بولينا أندرييفنا: (**تحمل سلة**) إليكم برقوقا للطريق.. حلو جدا. ربما أردتم تذوقه..

أركـــاديـــنـــا: أنت طيبة جدا يا بولينا أندرييفنا.

بولينا أندرييفنا: الوداع يا عزيزتى! سامحينا إذا كان وقع منا خطأ. **(تبكى)**

أركـــاديـــنـــا: (**تعانقها**) كان كل شىء جيدا، كان كل شىء جيدا. أما البكاء فلا لزوم له.

بولينا أندرييفنا: زماننا يولِّى!

أركـــاديـــنـــا: وما العمل!

ســـــوريـــــن: (**فى معطف، ودثار، وقبعة، وبعصا، يخرج من الباب الأيسر. يعبر الغرفة**) حان الوقت يا أختى، أخشى أن نتأخر فى نهاية الأمر. سأذهب لأركب. (**يخرج**)

مـدفيـدينكـو: سأذهب إلى المحطة على الأقدام.. لأودعكم.. بسرعة.. **(ينصرف)**

أركـــاديـــنـــا: إلى اللقاء يا أعزائى.. إذا عشنا فسنلتقى فى الصيف القادم..

(الخادم وياكوف والطاهى يقبلون يدها)

لا تنسونى **(تعطى الطاهى روبلا)** هذا روبل لكم الثلاثة.

الـطـاهـى: مع جزيل الشكر يا سيدتى. تصحبك السلامة! ممتنون لك جدا!

يـاكـوف: فى رعاية الله!

شـمـرايـف: أسعدونا برسالة! الوداع يا بوريس أليكسييفتش!

أركـاديـنـا: وأين قسطنطين؟ قولوا له إننى راحلة. يجب أن أودع. حسنا، لا تذكرونا بسوء. **(لياكوف)** أنا أعطيت الطاهى روبلا. إنه لكم الثلاثة.

(الجميع ينصرفون إلى اليمين. خشبة المسرح خاوية. تتردد خلفها الضجة المميزة للرحيل والوداع. الخادم تعود لتأخذ من على الطاولة سلة البرقوق، وتنصرف ثانية).

تـريجـوريـن: **(عائدا)** لقد نسيت عصاى. يبدو أنها فى الشرفة.

(يذهب فيلتقى عند الباب الأيسر بنينا التى تدخل).

أهو أنت؟ إننا راحلون..

نـيـنـا: كان عندى إحساس بأننا سنلتقى ثانية. **(بانفعال)** بوريس أليكسييفتش، لقد اتخذت قرارى القاطع، قُضِىَ الأمر، سألتحق بالمسرح. غدا لن أكون هنا، سأترك أبى، سأهجر كل شىء وأبدأ حياة جديدة.. أنا راحلة مثلكم.. إلى موسكو. هناك سنلتقى.

تـــريجـــوريـــن: **(يتلفت)** انزلى فى فندق «سلافيانسكى بازار».. أخطرينى على الفور... مولتشانوفكا، منزل جروخولسكى.. أنا مستعجل..

(صمت)

نـــيـــــنـــــا: دقيقة أخرى..

تـــريجـــوريـــن: **(هامسا)** أنت رائعة.. أوه يالها من سعادة أن أفكر فى لقائنا القريب!

(تميل على صدره)

وأرى من جديد هاتين العينين الرائعتين، وهذه البسمة الرقيقة البديعة بها لا يوصف.. هذه القسمات الوديعة، وتعبير الطهارة الملائكية.. أيتها الغالية..

(قبلة طويلة)

(ستار)

(بين الفصلين الثالث والرابع يمضى عامان)

الفصل الرابع

(إحدى غرف الاستقبال فى منزل سورين، وقد حوّلها قسطنطين تريبليف إلى غرفة مكتب. بابان إلى اليمين وإلى اليسار يفضيان إلى الغرف الداخلية. فى الواجهة باب زجاجى يفضى إلى الشرفة. بالإضافة إلى أثاث غرفة الجلوس العادى توجد فى الزاوية اليمنى طاولة مكتب، وبجوار الباب الأيسر كنبة تركية وخزانة كتب، والكتب على النوافذ وعلى المقاعد. الوقت مساء. يشتعل مصباح واحد تحت غطاء. شبه ظلام. يسمع حفيف الأشجار وعويل الريح فى المداخن ودقات الحارس. يدخل مدفيدينكو وماشا).

ماشا: (**منادية**) يا قسطنطين جافريليتش! قسطنطين جافريليتش! (**تنظر متفحصة**) لا أحد هنا. العجوز يسأل كل دقيقة أين كوستيا أين كوستيا.. لا يستطيع أن يحيا بدونه..

مدفيدينكو: يخشى الوحدة. (**يصيخ**) ياله من طقس فظيع! لليوم الثانى على التوالى.

ماشا: (**ترفع فتيل المصباح**) ارتفعت الأمواج فى البحيرة. أمواج هائلة.

مـد فيـد ينكـو : البستان مظلم. ينبغى تذكيرهم بأن يهدموا ذلك المسرح فى البستان. يقوم عاريا. قبيحا، كالهيكل العظمى، وستاره يقرقع فى الريح. عندما مررت بجواره مساء أمس، خيل إلىَّ أن بداخله أحدا يبكى.

مـــــاشـــــا: يا للتصورات..

(صمت)

مـد فيـد ينكـو : فلنعد يا ماشا إلى البيت.

مـــــاشـــــا: **(تهز رأسها سلبا)** سأبقى للمبيت هنا.

مـد فيـد ينكـو : **(ضارعا)** ماشا، فلنعد! طفلنا أكيد جائع!

مـــــاشـــــا: بسيطة، ستطعمه متريونا.

(صمت)

مـد فيـد ينكـو : مسكين. لليلة الثالثة بدون أمه.

مـــــاشـــــا: كم أصبحت مملا. كنت فى السابق تتفلسف على الأقل، أما الآن فلا شىء إلا الطفل والمنزل، الطفل والمنزل.. ولا أسمع منك غير ذلك.

مـد فيـد ينكـو : فلنعد يا ماشا!

مـــــاشـــــا: اذهب أنت.

مـد فيـد ينكـو : أبوك لا يعطينى حصانا.

مـــــاشـــــا: اطلب منه وسيعطيك.

مـد فيـد ينكـو : وهو كذلك. إذن ستأتين غدا؟

مـــــاشـــــا: **(تستنشق التبغ)** طيب، غدا..كفى إلحاحا..

(يدخل تريبليف وبولينا أندرييفنا. تريبليف يحمل وسائد وبطانية، وبولينا أندرييفنا تحمل ملاءات. يضعانها على الكنبة التركية، ثم يتجه تريبليف إلى مكتبه ويجلس إليه).

لِمَ هذا يا ماما؟

بولينا أندرييفنا: طلب بيوتر نيكولايفتش أن نفرش له بالقرب من كوستيا.

مـــــاشــــــا: هاتى أنا أفرش.. **(تعد الفراش)**

بولينا أندرييفنا: **(متنهدة)** العجوز والطفل سيان.. **(تتجه إلى طاولة المكتب وترتكز عليها بيديها وتحدق فى المخطوط).**

(صمت)

مـد فيـد ينكـو : إذن سأذهب. وداعا يا ماشا **(يقبل يد زوجته)** وداعا يا نينة **(يريد أن يقبِّل يد حماته)**

بولينا أندرييفنا: **(بأسى)** طيب، مع السلامة!

مـد فيـد ينكـو : وداعا يا قسطنطين جافريليتش.

(تريبليف يمد له يده فى صمت. ينصرف مدفيدينكو).

بولينا أندرييفنا: **(تحدق فى المخطوط)** لم يكن أحد يظن أو يخمن يا كوستيا أنك ستصبح كاتبا حقيقا. وها هم الآن، والحمد لله، يرسلون لك النقود من المجلات **(تمر بيدها خلال شعره)** وأصبحت جميلا... يا كوستيا العزيز، أيها الطيب، كن أكثر رقة مع ابنتى ماشنكا!..

مـــــاشــــــا: **(تعد الفراش)** دعيه يا ماما.

بولينا أندرييفنا: **(لتريبليف)** إنها لطيفة.

(صمت)

المرأة يا كوستيا لا تحتاج إلى شيء. فقط انظر إليها برقة. أعرف هذا بخبرتي.

(ينهض تريبليف من أمام المكتب وينصرف في صمت).

مـــــاشـــــا: ها قد أغضبته. ما كان ينبغي أن تضايقيه.

بولينا أندرييفنا: إنني أرثي لك يا ماشنكا.

مـــــاشـــــا: لا حاجة إلى ذلك!

بولينا أندرييفنا: قلبي يتمزق ألما عليك. إنني أرى وأفهم كل شيء.

مـــــاشـــــا: هراء. الحب بلا أمل يوجد في الروايات فقط. كلام فارغ. المهم ألا تتراخى وتبقى منتظرا شيئا ما، منتظرا الرياح المواتية.. إذا تسرب الحب إلى قلبك فينبغي طرده. لقد وعدوا زوجي بنقله إلى إقليم آخر. ما إن ننتقل إلى هناك حتى أنسى كل شيء..أقتلعه بجذوره من قلبي.

(عبر غرفتين يتردد لحن فالس حزين)

بولينا أندرييفنا: كوستيا يعزف. إذن فهو يشعر بالوحشة.

مـــــاشـــــا: **(تدور دورتين أو ثلاث من رقصة الفالس بدون صخب)** المهم يا ماما ألا أراه أمام عيني. فلينقلوا سيميون زوجي وعندئذ، صدقيني، سأنساه في شهر واحد. كل هذا هراء.

(يفتح الباب الأيسر، دورن ومدفيدينكو يدفعان كرسيا متحركا وعليه سورين).

مـدفيـدينكـو : أصبح لدى ستة أشخاص فى البيت. والدقيق يساوى سبعين كوبيكا للبود.

دورن: فلتدبر أمورك إذن.

مـدفيـدينكـو: من السهل عليك أن تسخر.، النقود لديك بلا حساب.

دورن: النقود؟ خلال ثلاثين عاما من الممارسة يا صديقى، الممارسة الشاقة، عندما لم أكن ملك نفسى لا نهارا ولا ليلا، استطعت أن أدخر ألفى روبل فقط، وقد أنفقتها عندما كنت فى الخارج منذ قريب. ليس لدى شىء.

مـــاشـــا: **(لزوجها)** ألم ترحل؟

مـدفيـدينكـو : **(بذنب)** وما العمل؟ لا يعطوننى حصانا!

مـــاشـــا: **(بأسى ومرارة، شبه هامسة)** لو أن عينى لا تراك!

(يتوقف الكرسى فى نصف الغرفة الأيسر. تجلس بولينا أندرييفنا وماشا ودورن بجواره. ينتحى مدفيدينكو المحزون جانبا).

دورن: أوه، ما أكثر التغييرات لديكم! جعلتم من غرفة الجلوس مكتبا.

مـــاشـــا: قسطنطين جافريليتش يرتاح إلى العمل هنا أكثر. بوسعه أن يخرج إلى البستان فى أى وقت ليفكر هنالك.

(الحارس يدق)

ســـــوريـــــن: وأين أختى؟

دورن: رحلت إلى المحطة لتستقبل تريجورين. ستعود حالا.

ســـــوريـــــن: طالما رأيتم من اللازم استدعاء أختى، فهذا معناه أن حالتى خطيرة **(بعد صمت)** يالها من حكاية، حالتى خطيرة ومع ذلك لا يعطوننى أى دواء.

دورن: وماذا تريد؟ نقاط فاليريانة؟ صودا؟ كينا؟

ســـــوريـــــن: آه، يبدأ التفلسف. أوه، يا للعذاب!

(يومىء برأسه إلى الكنبه)

هذا الفراش لى؟

بولينا أندرييفنا: لك يا بيوتر نيكولايفتش.

ســـــوريـــــن: أشكرك.

دورن: **(يدندن)** «فى سماء الليل يسبح الهلال...».

ســـــوريـــــن: أريد أن أقدم لكوستيا موضوعا لرواية. ينبغى أن يكون عنوانها هكذا: «الرجل الذى أراد». «L,HOMME QUI A VOULU» فى صباى أردت ذات يوم أن أصبح أديبا.. ولم أصبح. أردت أن أتحدث ببلاغة فصرت أتحدث بفظاعة **(يقلد نفسه)** «وخلافه، وما إلى ذلك، يعنى، لا أعنى».. كنت أسعى طويلا لتقديم الخلاصة، أسعى حتى العرق. وأردت أن أتزوج، فلم أتزوج. أردت أن أعيش دائما فى المدينة، وها أنذا أنهى حياتى فى القرية وخلافه.

دورن: أردت أن تصبح مستشار دولة.. فأصبحت.

سورين: **(ضاحكا)** لم أسع إلى هذا. ذلك حدث بلا تدبير.

دورن: أن تعرب عن سخطك على الحياة وأنت فى الثانية والستين.. صدقنى، هذه ليست سماحة.

سورين: يا لك من عنيد. افهمنى، أود أن أعيش!

دورن: هذا طيش، حسب قوانين الطبيعة كل حياة ينبغى أن تكون لها نهاية.

سورين: أنت تتحدث كشخص شبعان. أنت شبعان ولذلك لا تبالى بالحياة، كل شىء لديك سيان. ومع ذلك فستشعر أنت أيضا بالخوف عند الموت.

دورن: الخوف من الموت خوف حيوانى.. ينبغى كبته. الذين يخشون الموت عن وعى هم فقط من يؤمنون بالحياة الخالدة، والذين يشعرون بالفزع من ذنوبهم. أما أنت فأولا، لست مؤمنا، وثانيا، أية ذنوب لديك؟ لقد خدمت خمسة وعشرين عاما فى دائرة المحاكم، وهذا كل ما هنالك.

سورين: **(ضاحكا)** ثمانية وعشرين..

(يدخل تريبليف ويجلس على أريكة عند قدمى سورين. ماشا لا تحول عنه عينيها طوال الوقت).

دورن: إننا نعطل قسطنطين جافريلوفتش عن العمل

تريبليف: لا، لا بأس.

(صمت)

مـدفيـدنيكـو: لو سمحت يا دكتور بسؤال: أية مدينة فى الخارج أعجبتك أكثر؟

دورن: جنوة.

تـريـبـلـيـف: ولماذا جنوة؟

دورن: جمهور الشارع هناك رائع. عندما تخرج مساء من الفندق، تجد الشارع مكتظا بالبشر. ثم تسير بعد ذلك مع الحشد دون غاية، إلى هنا وهناك، فى خط متكسر، وتعيش معه حياته وتندمج معه نفسيا، فتكاد تصدق أنه بالفعل، من الممكن أن توجد روح عالمية واحدة، كتلك التى لعبتها نينا زاريتشنايا ذات يوم فى مسرحيتك. بالمناسبة، أين زاريتشنايا الآن؟ أين وكيف هى؟

تـريـبـلـيـف: بصحة جيدة على ما يبدو.

دورن: سمعت أنها سلكت حياة من نوع خاص. ما المسألة؟

تـريـبـلـيـف: هذه يا دكتور قصة طويلة.

دورن: فهلا اختصرت.

(صمت)

تـريـبـلـيـف: هربت من البيت وعاشرت تريجورين. هل تعرف ذلك؟

دورن: أعرف.

تـريـبـلـيـف: وكان لديها طفل. ثم مات الطفل. ولم يعد تريجورين

يحبها، وعاد إلى علاقاته السابقة كما كان متوقعا. وعموما فهو لم يقطع أبدا صلته بعلاقاته السابقة، بل استطاع، لضعف شخصيته، أن يظل هنا وهناك. وعلى قدر فهمى مما علمت به فإن نينا لم توفق فى حياتها الخاصة على الإطلاق.

دورن: والمسرح؟

تريبليف: يبدو أسوأ. بدأت أول أدوارها فى مسرح صيفى قرب موسكو، ثم رحلت إلى الريف. آنذاك لم أتركها تغيب عن نظرى، وظللت لفترة أرحل إلى حيث ترحل. كانت تتصدى للأدوار الرئيسية، ولكنها كانت تمثل بخشونة، بلا ذوق، بعويل وحركات حادة. وكانت هناك لحظات صرخت فيها بموهبة، أو ماتت بموهبة، ولكنها كانت مجرد لحظات.

دورن: إذن فلديها موهبة رغم ذلك.

تريبليف: كان من الصعب أن تفهم. ربما كان لديها. كنت أنا أراها ولكنها لم ترد أن ترانى، ومنعنى الخدم من دخول غرفتها. وقد فهمت حالتها فلم أصر على طلب رؤيتها.

(صمت)

ماذا أقول لك أيضا؟ بعد أن عدت إلى البيت تلقيت منها عدة رسائل. رسائل ذكية، دافئة، شيقة. لم تشك

من شيء ولكني أحسست أنها تعيسة للغاية. كل سطر عصب مريض مشدود. وخيالها مختل نوعا ما. كانت توقع الرسائل بـ «النورس». في «جنية البحر»[1] يقول الطحان إنه غراب، وهي في رسائلها كانت تردد أنها نورس. والآن هي هنا.

دورن: كيف، هنا؟

تريبليف: في المدينة، في فندق. منذ خمسة أيام تقيم هناك في غرفة. أنا ذهبت إليها، وماريا إيلينيشنا أيضا ذهبت، ولكنها لا تستقبل أحدًا. سيميون سيميونوفتش يؤكد أنه رآها بالأمس بعد الغداء في الحقل، على بعد كيلومترين من هنا.

مدفيدينكو: نعم، رأيتها. كانت تسير في تلك الجهة، نحو المدينة. حييتها، وسألتها لماذا لا تزورنا، فقالت إنها ستأتي.

تريبليف: لن تأتي.

(صمت)

أبوها وزوجته لا يريدان رؤيتها. وقد وضعا الحراس في كل مكان لكي لا تستطيع حتى الاقتراب من الضيعة. **(يبتعد مع الدكتور إلى المكتب)** ما أسهل يا دكتور أن تكون فيلسوفا على الورق وما أصعب ذلك عمليا!

سورين: كانت فتاة ساحرة.

---

(١) «جنية البحر» قصيدة طويلة للشاعر الكبير ألكسندر بوشكين. **المعرب**.

دورن: ماذا؟

سورين: أقول كانت فتاة ساحرة. حتى إن مستشار الدولة سورين كان متيما بها بعض الوقت.

دورن: أيها الغندور العجوز.

(يسمع ضحك شمرايف)

بولينا أندرييفنا: يبدو أنهم جاءوا من المحطة..

تريبليف: نعم، أسمع صوت ماما.

(تدخل أركادينا وتريجورين وخلفهما شمرايف).

شمرايف: **(داخلاً)** كلنا نهرم، نتفتت بتأثير عوامل التعرية، أما أنت، يا سيدتى الموقرة، فما زلت صبية.. البلوزة الفاتحة، والحيوية.. والرشاقة..

أركادينا: تريد أن تحسدنى ثانية أيها الرجل الممل!

تريجورين: **(لسورين)** مرحبا يا بيوتر نيكولايفتش! مالك مريض دائما؟ لا يصح! **(يرى ماشا فيقول بفرح)** ماريا إيليتشنا!

ماشا: عرفتنى؟ (تشد على يده)

تريجورين: متزوجة؟

ماشا: من زمان.

تريجورين: سعيدة؟ **(ينحنى محييا دورن ومدفيدينكو، ثم يقترب من تريبليف مترددا)** إيرينا نيكولايفنا قالت إنك نسيت الماضى ولم تعد غاضبا.

(تريبليف يمد له يده)

أركــاديــنــا: **(لابنها)** ها هو بوريس أليكسييفتش قد أحضر المجلة التى نشرت قصتك الجديدة.

تـريـبـلـيـف: **(لتريجورين متناولا منه المجلة)** أشكرك. هذا كرم منك **(يجلسان)**

تـريجـوريـن: المعجبون بك يبعثون إليك بتحياتهم.. فى بطرسبرج وموسكو مهتمون بك عموما، ودائما ما يسألوننى عنك. يسألون: كيف يبدو، كم عمره، أسود الشعر أم أشقر. ولسبب ما يظنون جميعا أنك كهل. ولا أحد يعرف اسم عائلتك الحقيقى لأنك تكتب باسم مستعار. أنت غامض كذى القناع الحديدى.

تـريـبـلـيـف: هل ستبقى طويلا لدينا؟

تـريجـوريـن: كلا، غدا أنوى العودة إلى موسكو. ضرورى. أتعجل لإنهاء رواية، ثم إنى وعدت بتقديم شىء ما لمجموعة قصص. وباختصار: الحكاية القديمة.

(أثناء حديثهما تضع أركادينا وبولينا أندرييفنا طاولة لعب الورق فى وسط الغرفة وتفردانها. شمرايف يشعل الشموع ويضع الكراسى. يستخرجون من الصوان معدات اللوتو).

استقبلنى الجو استقبالا غير ودى. الريح قاسية. غدا صباحا، لو هدأت، فسأذهب إلى البحيرة لاصطياد السمك. بالمناسبة ينبغى أن أتفقد البستان، وذلك

المكان ـ أتذكر؟ ـ الذى مثلت فيه مسرحيتك. لقد نضجت فى ذهنى فكرة، فقط من الضرورى استعادة مكان الأحداث إلى الذاكرة.

مـــــاشـــــا: **(لأبيها)** بابا، اسمح لزوجى أن يأخذ حصانا! عليه أن يعود إلى البيت.

شـــمـــرايـــف: **(مقلدا)** حصانا.. إلى البيت.. **(بصرامة)** ألم ترى بنفسك.. الحصان عاد لتوه من المحطة. لا يمكن إرهاقة أكثر.

مـــــاشـــــا: ولكن هناك خيولا أخرى.. **(عندما ترى أباها صامتا تشيح بيدها)** ما جدوى الكلام معك..

مـد فيـد ينكـو: سأعود ماشيًا يا ماشا. صحيح..

بولينا أندرييفنا: **(متنهدة)** مشيًا، فى هذا الجو.. **(تجلس إلى طاولة اللعب)** تفضلوا يا سادة.

مـد فيـد ينكـو: كل المسافة ستة كيلومترات فقط.. وداعا **(يقبل يد زوجته)** الوداع يا نينة.

(تمد له حماته يدها على مضض ليقبلها)

ماكنت لأزعج أحدًا.. ولكن الطفل.. **(ينحنى للجميع)** وداعًا.. **(ينصرف، ومشيته تبدو مذنبة)**

شـــمـــرايـــف: لا بأس، سيصل. ليس جنرالا.

بولينا أندرييفنا: **(تدق على الطاولة)** تفضلوا يا سادة. الوقت قليل، فقريبا سنتعشى.

(يجلس شمرايف وماشا ودورن إلى الطاولة)

أركـــاديـــنـــا: **(لتريجورين)** عندما تحل أمسيات الخريف الطويلة يلعبون اللوتو هنا. انظر..لوتو عتيق، كانت تلعب معنا به المرحومة أمى، عندما كنا أطفالا. ألا تريد أن تلعب معنا جولة قبل العشاء؟ **(تجلس مع تريجورين إلى الطاولة)** لعبة مملة، ولكن إذا ألفتها فلا بأس بها. **(توزع على كلٍّ منهم ثلاث بطاقات)**

تـريـبـلـيـف: **(يتصفح المجلة)** روايته قرأها، أما روايتى فلم يفض حتى صفحاتها **(يضع المجلة على المكتب، ثم يتوجه إلى الباب الأيسر، عندما يمر بجوار أمه يقبلها فى رأسها)**

أركـــاديـــنـــا: وأنت يا كوستيا؟

تـريـبـلـيـف: اعذرينى، لا أشعر برغبة.. سأتمشى. **(يخرج)**

أركـــاديـــنـــا: الرهان عشرة كوبيكات، ضع بدلا عنى يا دكتور.

دورن: حاضر.

مـــاشـــا: هل وضع الجميع رهانهم؟ سأبدأ..اثنان وعشرون!

أركـــاديـــنـــا: عندى.

مـــاشـــا: ثلاثة!..

دورن: هكذا.

مـــاشـــا: وضعتم ثلاثة؟ ثمانية! واحد وثمانون! تسعة!

شـمـرايـف: لا تستعجلى.

أركـــاديـــنـــا: كيف استقبلونى فى خاركوف، يا إلهى، رأسى يدور حتى الآن!

مــــاشـــــا: أربعة وثلاثون!

(خلف المسرح يتردد فالس حزين)

أركـــاديـــنـــا: الطلبة أثاروا عاصفة من التصفيق..ثلاث سلال زهور وإكليلان وهذا.. **(تنزع من صدرها بروشا وتلقى به على الطاولة)**

شـــمـــرايـــف: نعم، هذا شيء قيمٌ..

مــــاشـــــا: خمسون!..

دورن: خمسون تماما؟

أركـــاديـــنـــا: كنت فى فستان مدهش.. فيما يخص الملابس فأنا أعرف كيف ألبس.

بولينا أندرييفنا: كوستيا يعزف. يشعر بالوحشة، المسكين.

شـــمـــرايـــف: يسبونه كثيرا فى الصحف.

مــــاشـــــا: سبعة وسبعون!

أركـــاديـــنـــا: لا داعى للالتفات إلى ذلك.

تـــريجـــوريـــن: إنه سيئ الحظ. لا يستطيع أبدا أن يصل إلى نبرته الحقيقية. يكتب أشياء غريبة، غير واضحة، تشبه الهذيان أحيانا. ليس هناك شخصية واحدة حية.

مــــاشـــــا: أحد عشر!

أركـــاديـــنـــا: **(تتطلع إلى سورين)** بتروشا، هل تشعر بالملل؟ **(صمت)**

نائم.

دورن: مستشار الدولة نائم.

ماشا: سبعة! تسعون!

تريجورين: لو عشت فى ضيعة كهذه، بجوار بحيرة، فهل كنت أكتب؟ كنت أكبت فى نفسى هذا الهوى ولا أفعل شيئا غير صيد السمك.

ماشا: ثمانية وعشرون!

تريجورين: أن تصطاد رافة أو فرخًا.. يا لها من سعادة!

دورن: أما أنا فمؤمن بقسطنطين جافريليتش. فيه ثمة شىء! ثمة شىء! إنه يفكر بالصور، وقصصه زاهية، ساطعة، وأنا أحس بها بقوة. المؤسف فقط أنه ليس لديه مهام محددة. إنه يترك أثرًا فى النفس، ولا شىء أكثر، وبالأثر وحده لن تمضى بعيدا. إيرينا نيكولايفنا، هل أنت مسرورة بأن ابنك كاتب؟

أركادينا: تصور! إننى لم أقرأه بعد. دائما مشغولة.

ماشا: ستة وعشرون!

(يدخل تريبليف بهدوء ويتجه إلى مكتبه).

شمرايف: **(لتريجورين)** لقد بقى لدينا يا بوريس أليكسييفتش شىء يخصك.

تريجورين: ما هو؟

شمرايف: ذات مرة اصطاد قسطنطين جافريلينش نورسا فكلفتنى أن أوصى بتحنيطه.

تـريجـوريـن: لا أذكر **(متفكرا)** لا أذكر!

مـاشـا: ستة وستون! واحد!

تـريـبـليـف: **(يفتح الشباك ويصيح)** يا للظلام! لست أدرى لماذا أشعر بهذا الاضطراب.

أركـاديـنـا: كوستيا، أغلق الشباك، الهواء يهب.

(تريبليف يغلق الشباك)

مـاشـا: ثمانية وثمانون!

تـريجـوريـن: لقد كسبت يا سادة!

أركـاديـنـا: **(بمرح)** برافو! برافو!

شـمـرايـف: برافوا!

أركـاديـنـا: هذا الشخص حسن الحظ دائما وأبدًا. **(تنهض)** والآن هيّا بنا نتناول شيئا ما. نجمنا المشهور لم يتغد اليوم. سنتابع اللعب بعد العشاء **(إلى ابنها)** كوستيا، اترك مخطوطاتك وهيا نتعشى.

تـريـبـليـف: لا أريد يا ماما، أنا شبعان.

أركـاديـنـا: كما تشاء، **(توقظ سورين)** بتروشا، العشاء! **(تتأبط ذراع شمرايف)** سأروى لك كيف استقبلونى فى خاركوف..

(بولينا أندرييفنا تطفئ الشموع على الطاولة ثم تدفع هى ودورن الكرسى المتحرك. الجميع يخرجون من الباب الأيسر. يبقى فى المسرح تريبليف وحده خلف مكتبه).

تـريـبـلـيـف: **(يهم بالكتابة. يمر بعينيه على ماكتبه من قبل)** كم تكلمت عن الأشكال الجديدة، والآن أشعر أنى شخصيا أنحدر شيئا فشيئا إلى الروتين. **(يقرأ)** «كان الإعلان على السور ينص..وجه شاحب يؤطره شعر أسود..» ينص، يؤطره.. هذه سخافة. **(يشطب)** سأبدأ من حيث استيقظ البطل على صخب المطر، وما عدا ذلك سأرميه. وصف المساء المقمر طويل وفخم. تريجورين توصل إلى طرقه الخاصة، سهل عليه أن يكتب.. عنده على السد يلمع عنق زجاجة مكسورة ويلوح ظل عجلة الطاحونة السوداء..وهذا يكفى لصنع ليلة مقمرة، أما أنا فلدىَّ النور الخفَّاق، ووميض النجوم الخافت، وأنغام المعزف البعيدة، المتلاشية فى الهواء المعطر الخفيف.. هذا معذِّب.

(صمت)

نعم، إننى أقتنع أكثر فأكثر بأن المسألة ليست فى الأشكال القديمة والجديدة، وإنما فى أن الكاتب يكتب دون أن يفكر فى أية أشكال. يكتب لأن ذلك ينساب من روحه بسلاسة.

(شخص ما يدق النافذ القريبة من المكتب)

ما هذا؟ **(يتطلع فى النافذة)** لا أرى شيئا.. **(يفتح الباب الزجاجى وينظر إلى الحديقة)** شخص ما ركض هابطا على الدرج. **(يصيح)** من هنا؟

(ينصرف يسمع وقع خطواته السريعة فى الشرفة. بعد نصف دقيقة يعود مع نينا زاريتشنايا)

نينا! نينا!

(نينا تضع رأسها على صدره وهى تكتم البكاء)

(متأثرا) نينا! نينا! أهو أنت.. أنت.. كما لو كنت أتوقع، طوال اليوم كنت أشعر بلوعة فظيعة. **(ينزع عنها القبعة والإزار)** آه حبيبتى الطيبة، النادرة، قد جاءت! كفانا بكاء، كفانا.

نـــيـــنـــا: يوجد هنا أحد ما.

تـريـبـلـيـف: لا أحد هنا.

نـــيـــنـــا: أوصد الباب حتى لا يدخل أحد.

تـريـبـلـيـف: لن يدخل أحد.

نـــيـــنـــا: أنا أعرف.. إيرينا نيكولايفنا هنا. أوصد الباب..

تـريـبـلـيـف: **(يوصد الباب الأيمن بالمفتاح ويتجه إلى الباب الأيسر)** لا يوجد هنا قفل. سأضع الكرسى خلفه. **(يضع الكرسى خلف الباب)** لا تخافى، لن يدخل أحد.

نـــيـــنـــا: **(تحدق فى وجهه بانتباه)** دعنى أنظر إليك. **(تتلفت حولها)** المكان دافئ، مريح.. فى السابق كانت هنا غرفة الجلوس.. هل تغيرت كثيرا؟

تـريـبـلـيـف: نعم.. نحفت، وأصبحت عيناك واسعتين. نينا، من الغريب أن أراك. لماذا لم تسمحى لى برؤياك؟ لماذا لم

تأتى حتى الآن؟ أنا أعرف أنك تقيمين هنا منذ أسبوع تقريبا.. كل يوم كنت أذهب إليك عدة مرات، وأقف تحت نافذتك كالشحاذ.

نـــيـــنـــا: كنت أخشى أنك تمقتنى. كل ليلة أحلم أنك تنظر إلىَّ ولا تتعرف علىّ. آه لو تعرف! منذ أن وصلت وأنا أدور هنا..بجوار البحيرة. كنت بجوار بيتك عدة مرات، ولم أجرؤ على الدخول. فلنجلس.

(يجلسان)

لنجلس ولنتحدث، كثيرا. المكان هنا لطيف، دافئ مريح.. أتسمع، أهى الريح؟ كما لدى تورجينيف فى إحدى قصصه: «طوبى لمن يجلس فى مثل هذه الليالى تحت سقف منزله، لمن لديه ركن دافئ». أنا نورس.. كلا، ليس هذا. (تفرك جبينها) عمَّ كنت أتحدث؟ نعم..تورجينيف.. «وليساعد الله جميع المشردين بلا مأوى»..لا بأس. **(تنتحب)**.

تـريـبـلـيـف: نينا، عدت ثانية.. نينا!

نـــيـــنـــا: لا بأس، هذا يخفف عنى..أنا لم أبك منذ عامين. مساء الأمس، فى ساعة متأخرة، ذهبت إلى الحديقة لأرى هل مسرحنا مازال سليما. فإذا به لا يزال قائما. بكيت لأول مرة منذ عامين، فأحسست بالراحة، وأصبحت روحى أكثر صفاء. انظر، لم أعد أبكى. (تتناول يده) وهكذا

فقد أصبحت كاتبا.. أنت كاتب وأنا ممثلة.. نحن أيضا وقعنا فى الدوامة.. كنت أعيش فى مرح، كالأطفال، أستيقظ صباحا فأغنى. كنت أحبك، وأحلم بالشهرة، والآن؟ علىَّ غدًا فى الصباح الباكر أن أسافر إلى يليتس فى عربة الدرجة الثالثة.. مع الفلاحين، وفى يليتس سيثقل التجار المتعلمون علىَّ بمجاملاتهم. الحياة فظة!

تـريـبـلـيـف: ولماذا إلى يليتس؟

نـــيــــنـــــا: وقعت عقدا لموسم الشتاء. آن أن أرحل.

تـريـبـلـيـف: نينا، لقد لعنتك، كرهتك، مزقت رسائلك وصورك، ولكنى فى كل لحظة كنت أدرك أن روحى مرتبطة بك إلى الأبد. أنا لا أقوى على سلواك يا نينا. ومنذ أن فقدتك، ومنذ أن بدأت أنشر قصصى أصبحت الحياة لا تطاق.. إننى أتعذب.. كما لو كان شبابى قد انتزع منى فجأة، ويخيل إلىّ أننى قد عشت فى الدنيا تسعين عاما. إننى أناديك، أقبل الأرض التى سرت عليها. وحيثما نظرت لا أرى إلا وجهك، وهذه الابتسامة الرقيقة، التى أضاءت لى فى أجمل سنوات عمرى..

نـــيــــنـــــا: **(مرتبكة)** لماذا يتحدث هكذا، لماذا يتحدث هكذا؟

تـريـبـلـيـف: أنا وحيد، لا حب يدفئنى، أشعر بالبرد كأنى فى قبو، وكل ما أكتبه يخرج جافا، خشنا، كئيبا. ابقى هنا يا نينا، أتوسل إليك، أو اسمحى لى بالسفر معك!

(نينا ترتدى القبعة والإزار بسرعة)

نينا لماذا؟ أرجوك يا نينا..**(يتطلع إليها وهى ترتدى ملابسها)**

(صمت)

نـــيـــنـــا: العربة تقف عند الباب. لا تودعنى، سأنصرف وحدى.. **(من خلال الدموع)** أعطنى ماء..

تـريـبـلـيـف: **(يسقيها)** وإلى أين الآن؟

نـــيـــنـــا: إلى المدينة.

(صمت)

إيرينا نيكولايفنا هنا؟

تـريـبـلـيـف: نعم.. يوم الخميس ساءت حالة خالى فأرسلنا إليها برقية لكى تحضر.

نـــيـــنـــا: لماذا تقول إنك قبلت الأرض التى سرت عليها؟ ينبغى قتلى **(تميل على المكتب)** كم تعبت! لو أستريح.. لو أستريح! **(ترفع رأسها)** أنا نورس.. ليس هكذا. أنا ممثلة. نعم، حقا! **(تسمع ضحك أركادينا وتريجورين، تصيخ، ثم تركض إلى الباب الأيسر وتنظر فى فتحة القفل)** وهو أيضا هنا.. **(تعود إلى تريبليف)** نعم، حقًا.. لا بأس.. نعم.. لم يكن يؤمن بالمسرح، كان يسخر من أحلامى، وشيئا فشيئا فقدت أنا أيضا إيمانى وخار عزمى.. ثم فوق ذلك هموم الحب، والغيرة،

والخوف الدائم على الطفل.. أصبحت تافهة، ضئيلة، ومثَّلت بلا معنى.. لم أكن أعرف ماذا أفعل بيديَّ، ولا أجيد الوقوف على الخشبة، ولا أتحكم فى صورتى. أنت لا تدرك تلك الحالة التى تحس فيها بأنك تمثل بصورة فظيعة. أنا نورس. كلا، ليس هذا.. أتذكر عندما قتلت نورسا؟ بالصدفة جاء شخص، فنظر، ومن الفراغ قضى عليها.. موضوع لقصة قصيرة.. ليس هذا.. **(تفرك جبينها)** عمَّ أتحدث؟.. أتحدث عن المسرح. الآن لم أعد كذلك.. أنا الآن ممثلة حقيقية، أمثِّل باستمتاع، بإعجاب، أنتشى على الخشبة وأشعر بأننى رائعة. أما الآن طالما أعيش هنا، أسير طوال الوقت، أسير وأفكر، أفكر وأشعر بقواى الروحية تنمو يوما بعد يوم.. والآن أعرف يا كوستيا، أفهم، إن المهم فى عملنا ـ سواء نلعب على المسرح أم نكتب ـ ليست الشهرة، ليس البريق، ليس ما كنت أحلم به، بل القدرة على الصبر. فلتعرف كيف تحمل صليبك، ولتؤمن. إننى أؤمن، ولذلك لا أتألم بتلك الدرجة، وعندما أفكر فى دورى فى الحياة لا أعود أخشاها.

تـريـبـلـيـف: **(بأسى)** أنت وجدت طريقك، أنت تعرفين إلى أين تقصدين، أما أنا فما زلت أحلق فى فوضى الأحلام والصور، ولا أعرف لم ذلك ومن بحاجة إليه. أنا لا أومن ولا أعرف ما هو دورى فى الحياة.

نـــيـــنـــا: **(تصيخ)** هس.. سأذهب. وداعًا. عندما أصبح ممثلة كبيرة تعال لكى تراني. هل تعدنى؟ أما الآن.. **(تشد على يده)** تأخر الوقت. لا أكاد أقوى على الوقوف.. أنا منهكة، أريد أن آكل..

تـريـبـلـيـف: ابقى، وسأقدم لك عشاء..

نـــيـــنـــا: كلا.. لا تودعنى، سأنصرف وحدى.. العربة قريبة.. إذن فقد جاءت به معها؟ حسنا، سيان. عندما ترى تريجورين لا تقل له شيئا..إننى أحبه. أحبه حتى أقوى من السابق..موضوع لقصة قصيرة.. أحبه، أحبه بعنف، أحبه بجنون. كم كان الماضى طيبا يا كوستيا! أتذكر؟ كم كانت الحياة صافية، دافئة، مرحة، طاهرة، وأية مشاعر.. مشاعر تشبه الزهور الرقيقة الأنيقة. أتذكر؟ **(تقرأ)** «الناس، والأسود، والنسور والسمانات، والغزلان ذات القرون، والأوز، والعناكب، والأسماك الخرساء التى عاشت فى المياه، ونجوم البحر، وتلك المخلوقات التى لم يكن ممكنا رؤيتها بالعين المجردة.. باختصار كل الأحياء، كل الأحياء، انطفأت بعد أن أنجزت دورتها الحزينة.. مرت آلاف القرون والأرض لا تحمل على سطحها أثرا لحى، وعبثا يضىء هذا القمر المسكين مصباحه. فى المروج لم تعد اللقالق تستيقظ زاعقة، وفى غيضات الزيزفون لم يعد يسمع أزير

خنافس الربيع...» **(تعانق تريبليف بحدة وتركض عبر الباب الزجاجى).**

تـريـبـلـيـف: **(بعد فترة)** سيكون من السيئ لو رآها أحد فى الحديقة ثم أخبر ماما بذلك. قد يحزن هذا ماما..

(على امتداد دقيقتين يمزق كل مخطوطاته ويلقى بها تحت المكتب، ثم يفتح قفل الباب الأيمن وينصرف)

دورن: **(يحاول فتح الباب الأيسر)** غريبة. يبدو وكأن الباب موصد.. **(يدخل ويضع الكرسى فى مكانه)** سباق حواجز.

(تدخل أركادينا وبولينا أندرييفنا، ومن خلفهما ياكوف حاملا زجاجات، وماشا، ثم شمرايف وتريجورين).

أركـــاديـــنــــا: النبيذ الأحمر والبيرة لبوريس أليكسييفتش ضعها هنا، على الطاولة. سنلعب ونشرب. فلنجلس يا سادة.

بولينا أندرييفنا: **(لياكوف)** قدم الشاى حالا. **(تشعل الشموع وتجلس إلى طاولة اللعب).**

شـــمـــرايـــف: **(يقود تريجورين إلى الصوان)** ها هو الشىء الذى حدثتك عنه منذ فترة.. **(يستخرج من الصوان نورسا محنطا)** حسب طلبك.

تـــريجـــوريـــن: **(ينظر إلى النورس)** لا أذكر! **(يفكر قليلا)** لا أذكر!

(إلى اليمين خلف المسرح تدوى طلقة. الجميع ينتفضون)

أركـــاديـــنــــا: **(بفزع)** ما هذا؟

دورن: لا شيء. لا بد أن زجاجة ما انفجرت فى صيدليتى المحمولة. لا تقلقوا. **(يخرج من الباب الأيمن، ويعود بعد نصف دقيقة)** هو كذلك. انفجرت قارورة أثير. **(يدندن)** «بين يديك من جديد قد وقفت ذاهلاً..»

أركـــاديـــنـــا: **(تجلس إلى الطاولة)** أف، كم فزعت.. ذكرنى هذا بـ.. **(تخفى وجهها بيديها)** دارت الدنيا فى عينى..

دورن: **(لتريجورين وهو يقلب مجلة)** نشروا هنا مقالة منذ شهرين... رسالة من أمريكا، وبالمناسبة أردت أن أسألك **(يحيط بخصر تريجورين ويقوده إلى مقدمة المسرح)** ولما كنت مهتما جدا بهذه المسألة.. **(بنبرة أخفض، بشبه همس)** خذ إيرينا نيكولا يفنا من هنا بأية وسيلة. المسألة أن قسطنطين جافريليتش انتحر..

(ستار)